# شعرية غاستون باشلار
# وقضايا الترجمة

**شعرية غاستون باشلار وقضايا الترجمة**

**سعيد بوخليط**

الطبعة العربية الأولى 2022.

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد 2022.

**الآن ناشرون وموزعون**

**المدير العام: د. باسم الزعبي**

الأردن، عمّان، شارع الملكة رانيا، بجانب صحيفة «الرأي»، مجمع المفلح التجاري (87)، ط1.

هاتف: 797162720، 65620722 (962+)

alaan.publish@gmail.com

www.alaanpublish.com

**تصميم الغلاف**: م. سجود العناسوة

All rights reserved. No part of this book may be reproduced، stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

**جميع الحقوق محفوظة.** لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

ISBN: 978-9923-13-506-8

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2160/4/2022)

306

بوخليط، سعيد

حوارات مع سعيد بوخليط:شعرية غاستون باشلار وقضايا الترجمة عمان: الآن ناشرون وموزعون، 2022

(150) ص

ر. إ: 2160/4/2022

الواصفات: الحوار الثقافي/ / الترجمة/ / النقد الثقافي/ / الدراسات الثقافية

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

سعيد بوخليط

# شعرية غاستون باشلار
# وقضايا الترجمة

حوارات

# تقديم

## غاستون باشلار
## شاعر العلم وكيمائي القصيدة

**«إن الصورة القابعة بين صفحات الكتب، الخاضعة للنقد وكذا مراقبة الأساتذة، تكبح الخيال».**

**باشلار**

حظي غاستون باشلار (1884-1962) أو «سقراط الفكر المعاصر» بتقدير وإنصاف مثاليين، باعتباره مؤرِّخا للعلوم ومجدِّدا كبيرا لمنظومتها الابستمولوجية والمنهجية والفلسفية؛ وقد ولج هذا المجال الدقيق من أبوابه الواسعة، أقصد التخصص المحض، بعد أن ارتقى إبان مساره الدراسي من إجازة في العلوم الرياضية والتبريز في الفلسفة، ثم توّج هواجسه العلمية سنة 1927 بمناقشته أطروحة قصدَ الحصول على دكتوراة في الفيزياء، بموضوع تناول «التمدّد الحراري للأجسام الصلبة».

هكذا، انتقل إلى تدريس تخصصات الرياضيات والفلسفة والفيزياء، بداية داخل فصول ثانوية في منطقة مولده الأصلية «بار-سور-أوب»، ثم بعد ذلك، جامعتي ديجون (1930) والسوربون (1940).

اهتماماته خلال هذه المرحلة أو حقبة باشلار/ الشاب، راكمت تباعا مؤلفات وعناوين دراسات؛ من قبيل: دراسة في المعرفة التقريبية (1927)، القيمة الاستقرائية للنسبية (1929)، التعدد المتناسق للكيمياء المعاصرة (1929)، الفكر العلمي الجديد (1934)، تجربة الفضاء في الفيزياء المعاصرة (1937)، تشكل الفكر العلمي (1938)، فلسفة النفي (1940)، العقلانية التطبيقية (1949)، المادية العقلانية (1953).. أحدثت بكل المقاييس ثورة كوبيرنيكية على مستوى منظومة العلوم الدقيقة، وأرست معالم مفاهيم جديدة ونوعية؛ دحضت وقوضت البناء الاستدلالي المترسخ طيلة عهود، نتيجة هزات الآفاق المغايرة التي أتت بها هندسات ريمان ولوباتشفسكي، وماكروفيزياء نسبية آينشتاين، ثم ميكروفيزياء ماكس بلانك.

لقد تخلصت أخيرًا الممارسةُ العلمية من عوائق التجربة الأولى، العائق الجوهري، المعرفة العامة. صار العقل العلمي تجريبيًّا، منفتحًا، لينًا، تاريخيًّا، متجاوزًا لذاته باستمرار، جدليًّا بكيفية لا نهائية، يهمه السؤال أكثر من الجواب، والنفي بدل الإقرار الدوغماطيقي. لا توجد حقيقة مطلقة، أو قانون علمي أبدي. يبنى الموضوع العلمي من خلال جدليات التجريبي والعقلي، التصور المفهومي ومعطيات الواقع.

في المقابل، لم يجد مثل هذا الاستحقاق، إلى حد ما، سبيلًا على منوال رمزية السابق، تبعًا لنفس الاهتمام والانكباب، نحو نتاج باشلاري

ثانٍ، موازٍ للأول؛ وفق إيقاع الثورة الكوبيرنيكية، ارتبط هذه المرة بمرحلة باشلار/ الشيخ الذي انكب بعبقرية استثنائية وحس إيستيتيقي متفرد للغاية، في إطار موسوعية مبهرة، على تفكيك البنيات الدلالية لنصوص أدبية وشعرية متنوعة، تنتقل بأريحية بين كاتب مشهور وآخر غير معروف، تحت سيل مداد ريشة حكيم يذكّرنا شكله بفلاسفة عهود الإغريق.

تحاورت داخل متنه مرجعيات عدة، بكيفية غير معهودة: ديكارت، رامبو، آينشتاين، بودلير، نيوتن، إدغار بو، برجسون، كافكا، لوتريامون، هولدرلين، بلزاك، فلوبير، ريلكه، بول فاليري، بيرسي شيلي، نيتشه، نوفاليس، يروتون، أراغون، لوي غيوم، سانت بوف، سوينبرن، أفلاطون، هنري ميشو، ديدرو، بوسكو، ألبير بيغان، روني شار، مينكوفسكي، روبير ديزويل، فان غوغ.

هكذا، وجدنا أنفسنا أمام باشلار عاشق بنفس الشغف والولع للقصيدة والسرد والنحت، مثلما أبان سابقًا نحو الرياضيات والفيزياء والكيمياء. بالتالي، أبان على أرض الواقع، وبَسَّط أمام القارئ، المضمون الحقيقي لهويته الذاتية بقوله خلال إحدى المناسبات: «انظروا إلى قدمي.. أنا فيلسوف، ثم تأملوا أجنحتي، فأنا شاعر». لقد تدفقت القصيدة إلى روح العالم والفيلسوف، فتحول اهتمامه من إبستمولوجيا العلوم إلى الحلم والتأمل الشارد.

إذن، نتيجة مفعول اجتهادات باشلار، أيضًا غير تقليدية بخصوص تأويل إبداعات ملَكَة الجمال الإنساني، لم يعد بدوره الخيال؛ كما حدث بالنسبة للعقل العلمي، ضمن نفس المنظور السابق الثابت مؤسساتيًّا، باعتباره كذبًا، وتضليلًا، وشرودًا بوهيميًّا؛ غير ذي قيمة معرفية تذكر، دون استحضار تراكمات الخصومة الشهيرة المتوارثة من جيل إلى جيل، بين الخيال وكذا منظومات البرهان والاستدلال، بلغة أخرى بين الرياضيات والقصيدة جعلت العقل والخيال، عدوَّين لدودَين لا جامع بينهما.

تشكَّلت الروافد الحالمة لهذا المشروع الباشلاري الثاني، من خلال مضامين مؤلفاته التالية: «التحليل النفسي للنار» (1938)، «لوتريامون» (1939)، «الماء والأحلام» (1941)، «الهواء والرؤى» (1943)، «الأرض وهواجس الاستراحة» (1946)، «الأرض وهواجس الإرادة» (1948)، «شاعرية المكان» (1957)، «شعرية حلم اليقظة» (1960)، «شعلة قنديل» (1961).

في سنة 1961، استحق باشلار الجائزة الوطنية الكبرى للآداب.

أبحاث أرسى من خلالها باشلار، معالم قطيعة تاريخية حيال تصورات قطعية في نظر الثقافة الكلاسيكية، بفضل أطروحات من هذا النوع؛ اختزلت مجمل قصديتها قولته الشهيرة: «إذا كان بوسع أبحاثي إثارة الانتباه، فيمكنها أن تأتي ببعض الوسائل والأدوات بهدف تجديد النقد الأدبي».

تحويله الخيال إلى فيزياء، تحكمه قوانين موضوعية جوهرية. تصور استخلص بفضله باشلار علاقة الصورة الشعرية بالعناصر الكونية الأربعة، أي الماء والنار والأرض والهواء.

سعيه إلى تجديد النقد الأدبي عن طريق إعادة الاعتبار للخيال المادي، والحلم.

الخيال المادي بمثابة حوار فعال ومبدع مع الكون.

يمثل الخيال والمتخيل والتأمل الشارد، قوة طاقية مبدعة.

الخيال نفسه، وفق ذات الهوية، سواء في العلم أو الأدب.

ردم الهوة العميقة التي فصلت بين الخيال والعقل، الحلم والبرهان، التأمل والاستدلال، الشعور والذكاء، الجمال والنظرية...، بل منح باشلار الخيال ضمنيا الصدارة والأولوية، بحيث نحلم أولًا، ثم بعد ذلك ندرس. من يسعى إلى تمثّل ممكنات هندسة القنبلة الذرية، يلزمه التمرن قبل ذلك على التماهي مع الإيحاءات المجازية لصور الشعراء. العلم خيال، ثم نسق برهاني. لقد تخيل آينشتاين مثلًا بداية أبعادًا أخرى لكون جديد غير الواقعي، ولتأكيدها انطلق إلى بناء الفرضيات وصياغتها رياضيا وفق علاقات منطقية. أيضًا، يتمرس الذهن البشري على التجريد العلمي، حينما يستأنس أفقه بتساميات مبدعين يمتلكون مخيلة غير عادية، لها القدرة كي تحلّق بعيدًا.

إذا تمكّنّا من دراسة الصور، بإسنادها إلى مادتها الحقيقية يمكننا تأمل نظرية كاملة للخيال الإنساني.

أعاد الاعتبار للخيال، ورأى أن مهمة الناقد الأدبي تكمن في الحلم مع المبدع، والعثور ثانية على الصورة الشعرية في انبثاقها والانسياب مع رنينها.

الصورة مولِّدة لحلم اليقظة.

إذن، وكما تحقق مع العلم، مَثَّل باشلار/ الناقد الأدبي رغم رفضه المبدئي لثقافة التسميات والتصنيفات والنعوت الأكاديمية والبيانات، مفضّلًا دائمًا المناداة عليه باسمه الشخصي لا غير: «كم كنت أستاذا سيئا للأدب! لا أتوقف عن الإفراط في الحلم لحظات القراءة»، «كل هذه الكتب التي أُخرجت إلى الوجود، تبقى بالنسبة إليّ وبحسب وجهة نظري مجرد كتب للتسلية»، «أدرك جيدًا أنه يلزمني أن أدرس أكثر مما ينبغي. لا أدري.. لست مؤهلًا للقيام بهذا المشروع. أتوخى على العكس من ذلك، تكريس ما تبقى لي من القوة، كي أواصل ما أنجزته.. آه! أجدني مع تلك القصيدة غير المحكومة بوحدة كلية، لكنها تتضمن صورًا جميلة. مثلما ترون، دوري متواضع جدًّا، ولا أعتبر نفسي أستاذًا للآداب».

أود القول، رغم أن هذا العقل الجبار، رفض دائمًا وصفه بالناقد الأدبي مؤكدًا أنه لم يقصد من وراء نتاج كتبه، سوى متعة القراءة ولذّتها، فقد شكَّل حقًّا وبكل المقاييس حلقة أساسية، مفصلية، مركزية بالنسبة

لخريطة النقد الأدبي خلال القرن العشرين، بحيث نجد مدرسته المسماة «الظاهراتية الباشلارية» ضمن طليعة الاتجاهات الحديثة والمعاصرة التي ارتقت بإيستيتيقا النص الأدبي وكذا استيعاب بنياته الدلالية نحو آفاق متطورة جدًّا، بجانب باقي التيارات التي تحيل أساسًا على خطاطات التأويلات النصية التي راكمها: الشكلانيون الروس، حلقة موسكو اللسانية، حلقة براغ، مدرسة جنيف (مارسيل ريمون، ألبير بيغان، جورج بولي، جون روسي، جون ستاروبنسكي، جان بيير ريشار)، جيلبير دوران (النقد الأسطوري)، النقد النفسي (فرويد، شارل بودوان، شارل مورون)، علم اجتماع الأدب (جورج لوكاتش، لوسيان غولدمان، ميخائيل باختين)، جمالية التلقي (هانس روبير ياوس)، اللسانيات، الأسلوبية، البلاغة، سيميوطيقا الأدب، السيميوطيقا السوفياتية، جماعة تيل كيل، النقد التكويني، الشعرية.

ثورة نصية هائلة، يعدّ باشلار أحد روادها الكبار، تحققت لديه نتيجة:

القطع مع كل دراسة خارجية للنص، أساسًا مستلهمي منهجية غوستاف لانسون، والاتجاهات البيوغرافية والسيرية، ثم الانكباب جملة وتفصيلا على استيعاب البناء الداخلي النص، لكن برؤية عاشقة وحالمة.

الإيمان المطلق بإيحاءات الخيال.

تذويب كل المسافات الرسمية والعوائق الفاصلة بين الكاتب والقارئ، ثم بين القارئ والنص.

الاحتفال اللانهائي بحداثة الصور، وانسياب الناقد خلف رنينها.

عمومًا، بين طيات حوارات هذا العمل، ومن خلال تداول أفكار أثارتها نقاشات عدة تبعًا لسياقات زمنية متباعدة مع صحفيين ومهتمين بالشأن الثقافي، ونتيجة الأسئلة المحرِّضة لهؤلاء المتدخلين، انبعثت آفاق أهم الثيمات التي اشتغلت عليها أجوبة الكتاب؛ أو على الأقل وفق تقديري الخاص:

دوافع اهتمامي بغاستون باشلار، خيال باشلار، المنهج الباشلاري، نظرية العناصر الأربعة، باشلار والفلسفة العربية، الدروس المستخلصة من المرجعية الباشلارية، باشلار ومفهوم القطيعة في منهج محمد عابد الجابري، العلاقة بين العلم والفلسفة، الأدب والفلسفة، الأدب والأوبئة، الرأسمالية والاندحار الحضاري، مرجعية اختيار موضوعات الترجمة، الهوية الثقافية، سؤال النقد، المجتمعات العربية ومرتكزات الحداثة، واقع الترجمة ومؤسساتها وظروفها، نظرية الترجمة، الترجمة والتلاقح الثقافي، الترجمة والتحديات المستقبلية.. إلخ.

# الترجمة، مؤسسات الترجمة العربية، روافد الترجمة...

حاوره: حياة حسنين

## تقديم

حين يتم الحوار مع شخصية لها العديد من المؤلفات، يكون للمساهمة نكهة ثقافية تمزج بين الفهم والمعرفة العربية التي تتلمذ عليها من جهة، وبين الثقافة المكتسبة من ترجمة العلوم الأخرى. ناهيك على أن هذه النكهة الثقافية التي لها أبعاد عميقة قد تكون هي بحد ذاتها منبرا بحثيا جديدا لمن يريد أن يتعلم كيف يمكن للثقافة أن تتطور وتكون حضارة أمة. هكذا، هو الباحث المغربي سعيد بوخليط، الحائز على شهادة الدكتوراه في الخطاب النقدي والأدبي، وعضو اتحاد كتاب المغرب. فهو على الرغم من أنه منكب على مجال تخصصه، غير أنه بين الفينة والأخرى، يضيف أشياء أخرى إلى المكتبة العربية. هكذا بمناسبة صدور عمله الأخير «قضايا وحوارات: بين المنظور الأيديولوجي والمعرفي»، عن منشورات جداول اللبنانية، وجهنا إليه بعض الأسئلة بخصوص وضع الترجمة، على امتداد العالم العربي.

**ما تقييمكم لمؤسسات الترجمة في الوطن العربي؟**

الجواب، عن سؤال من هذا القبيل، ينقسم إلى قسمين: إذا، كان التقييم يهم السياق الحالي، والأجواء العامة، التي تحكم المنظومة العربية ككل، بسبب غياب الروافد الأصيلة، لمشروع علمي متكامل، في إطار الدولة الوطنية التحديثية، التي بمقدورها تكلم لغة العصر على جميع الواجهات، فبوسعنا طبعا، الجزم بأن أفق الترجمة لا زال ضعيفا جدا، ما دامت مؤسساتها لا تشغل سوى حيز ضئيل من الهم اليومي، وكذا هواجس المسؤول العربي. إذن، موضوعيا، فالحكم سلبي، يعني ضمنيا الإحالة على الوضع المفترض، كما الحال في العالم المتقدم، التي تشغل فيها الميزانيات المرصودة إلى العلم والمعرفة، المكانة الجوهرية. أما، في حالة تسليمنا بحتمية الأمر، ارتباطا بمعطى انغلاق المسارات السياسية، وتحولنا بأعناقنا نحو المجهودات الذاتية لمراكز ومؤسسات الترجمة، بناء على الشروط الموضوعية القائمة، فالظرف يدعونا إلى تقديم التحية وتثمين ما يجري، لأن المجهودات جبارة محكومة أساسا بمنطق التطوع، وما يدخل في طياته من اختيار للصعب والتضحية ونكران الذات، والمنازلة المستمرة على جميع الواجهات المادية والمعرفية، ما دام سؤال لماذا سنترجم؟ لا زال يعتبر عند أصحاب الشأن العربي، من قبيل الأحاديث التي يتفكهون بها خلال مجالسهم. هكذا، في حدود معرفتي واطلاعي، نتوفر على مؤسسات وبرامج للترجمة، أهمها: المنظمة العربية

للترجمة، مؤسسة الفكر العربي، مركز البابطين، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المركز القومي للترجمة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مشروع «كلمة» التابع لمؤسسة محمد راشد آل مكتوم، مشروع «الشروق -بنجوين» لترجمة كلاسيكيات الأدبين العربي والغربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتجية، ثم عالم المعرفة وإبداعات عالمية ومجلة الثقافة العالمية...، لكن مجهودها الأسطوري-نعم استعمل هذا المفهوم- نتيجة التراجع الذي يعانيه العرب، فيما يتعلق بالمستوى العلمي لمدارسهم وجامعاتهم ونخبهم ونسبة المقروئية لديهم، يخلق بالتأكيد عقبة كأداء، أمام تخصيب سماد الأرض التي تهذب وتنمي الشغل اليومي للترجمة، لأنها النافذة الوحيدة التي ستصالحنا بالعالم. أقول، بأنه مجهود يضيع سدى أثره الفعال، إذا بقي عمل المؤسسات مفتقدا إلى هدف استراتجي قصير وبعيد المدى، ترسم ملامحه، أهداف ومخططات، تتحمل أعباءها بجدية الدول العربية من المحيط إلى الخليج، وتكرس لها الأموال السخية، حتى يتحقق الهدف المنشود منها. فتنعكس نتائج الصنيع، بكل ايجابية على الأجيال المقبلة. نعم، تقتضي الترجمة هيئات ومهتمين ومتخصصين ومقتضيات وميزانيات، لكن قبل كل هذا، يلزمها قرار سياسي جريء وحاسم.

**ما التحديات التي تواجه أعمالها؟**

مثل باقي التحديات، التي اعترضت وتعترض وستعترض، سبيل كل فعل نهضوي تنويري تحديثي، يتوخى انتشال الوضع العربي من بوتقة التخلف نحو التقدم. لأنه، لا نهضة بدون ترجمة، وهي التجربة التاريخية التي خبرتها عمليا، الشعوب والمجموعات البشرية التي استطاعت الخروج من الانحدار الحضاري. العرب ترجموا عن اليونانيين والفرس، ثم الأوربيون بدورهم نقلوا ما أنجزه العرب إلى لغاتهم. هكذا، إذا رصدنا، طبيعة المشاريع التي سنتها منظماتنا الإقليمية، نجدها رصينة وطموحة، يكفي مثلا، ذكر البعض منها، أو على الأقل إحاطة المهتم ببعض مرامي اشتغالها، لا سيما وأن إعلامنا الثقافي، صار ينحدر بدوره من الانكباب على الجاد والرصين، إلى تسليطه الضوء على أشياء فارغة، لأهداف ربحية، استهلاكية، وتجارية، مما يدعونا، إلى أن يسائل كل واحد نفسه، ماذا يعرف عن ما ترجم عربيا، على الأقل خلال العقد الأخير، في شتى الحقول المعرفية؟ ثم، هل اتجه تفكير المؤسسات المشرفة على الترجمة، نحو توحيد الجهود ولملمة الأشلاء، وتجميع المتناثر صوب الاستثمار المؤسساتي للإنتاج، وإضفاء صبغة قومية على الأعمال؟ بالتالي، نجد في الوقت الحالي، دعوات هنا وهناك، على سبيل الذكر، لا الحصر: ما نعت بمشروع «حضارة واحدة»، الذي تشرف عليه مؤسسة الفكر العربي، منذ سنوات، بهدف تتبع أحدث العناوين الصادرة

في العالم حول قضايا الفكر التنموي، التي تتطرق إلى المستجدات الراهنة، المتعلقة بمختلف الأصعدة الاجتماعية والثقافية والتعليمية والاقتصادية والسياسية، ثم نقلها إلى اللغة العربية. أصحاب التجربة، أدركوا الآن، المرحلة الثانية من مخططهم، الذي سيركز على مؤلفات باللغة الصينية. أيضا، مشروع «كلمة»، الصادر عن مبادرة أطلقتها هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، برئاسة الشيخ محمد بن زايد آل نهيان. تجربة، مثلما نستشف عبر أدبياتها، غيرذات أهدف تجارية، غايتها بعث عملية الترجمة في العالم العربي وتفعيل ممكنات النشر والتوزيع. كذلك، نستحضر مشروع «الشروق- بنجوين»، القائم على شراكة بين دار بنجوين العالمية، والشروق المصرية، من أجل ترجمة كلاسيكيات الأدبين العربي والغربي، من الانجليزية إلى العربية أو العكس. أيضا، مشروع «ألف كتاب»، الذي تبناه المركز القومي للترجمة، تحت إشراف الأستاذ جابر عصفور، بحيث وضع نصب أعينه الخروج من نطاق المركزية الأوروبية، والانفتاح على اللغات الشرقية المرتبطة تاريخيا باللغة العربية كالتركية والفارسية، وتحقيق نوع من التوازن بين مختلف المعارف الإنسانية، لكن مع تجنب الأعمال المدرسية، ذات المنحى التجاري والدعائي، بالانكباب على النصوص الرصينة، التي تنم عن حمولات ومضامين عميقة كالموسوعات والأعمال الكاملة للكتاب. أيضا، نتحدث في هذا المقام عن التعاون، بين «مركز الأهرام للترجمة والنشر» و«المركز الثقافي

الأمريكي»، بخصوص وضعهما لبرنامج، توخى ترجمة ونشر الكتب التي تناقش القضايا الراهنة، فأثمر المخطط حتى الآن على إصدار 45 كتابا، تنتمي لمجالات السياسة والاقتصاد والقضايا المعاصرة والعلوم البيئية، إلى جانب مجموعة نصوص من روائع الأدب الأمريكي، توجت بجوائز عالمية مختلفة. أخيرا، الطفرة النوعية، التي انطوت عليها دعوة مركز دراسات الوحدة العربية، بإعلانه سنة 1999، عن تأسيس المنظمة العربية للترجمة، كتجسيد لحلم طالما راود مخيلة المثقفين العرب، المتمثل في بلورة وعي نهضوي عن طريق مداخل الترجمة. دعت في بيانها التأسيسي، إلى تبني تصور منهجي مدقق للترجمة، عبر مفهوم «الترجمة-البحث»، من أجل تجاوز السلبيات العالقة بالترجمات السائدة، وذلك بالاشتغال وفق معايير للترجمة، تحافظ على روح النص الأصلي مع إغناء حواشيه بالتأكيد، منها: الاختصاص، اعتماد المراجعة، تفضيل الجهد الجماعي في الترجمة. من أجل كل هذا، تعمل المنظمة على توسيع شبكة علاقاتها مع المترجمين على امتداد الوطن العربي.

**ما السبيل إلى تنشيط حركة الترجمة داخل الوطن العربي؟**

لقد ورد لدى الأستاذ جابر عصفور، ما يلزم في هذا الإطار، جوابا على سؤالكم، بحيث كتب مقالات تعتبر بمثابة خريطة طريق إن شئنا، بهدف تعبئة الجهود والنهوض بمشروع للترجمة، ليس له من قدر ثان، سوى أن يكون قوميا. ففي مقالة له بجريدة الحياة (العدد 13829)، حدد روزنامة

من العوارض تتأرجح بين التنظير العلمي والإيديولوجي والتقني والميتودولوجي، بهدف خلق مناخ ثقافي حر، تتعالي معه الترجمة عن منطق الربح وتتجاوز عائقي الانغلاق الفكري، جراء تغول هيمنة المرجعية الدينية، لأنه بغير الحرية الفكرية وهيمنة عقيدة الانفتاح على الآخر في كل تعدديته، يستحيل خلق ذوات مترجمة. هكذا، فالمجال العلمي المناسب ينحو نحو لبنات ضرورية، لا محيد عنها:

1. الزيادة في خلق مؤسسات، للترجمة ومعاهد لإعداد المترجمين، لكن وفق خطة شاملة.
2. توالي، عقد المؤتمرات والمنتديات الوطنية والقومية، بغية توسيع الخبرة وتبادلها.
3. الانفتاح، على دور النشر العالمية، وإبرام اتفاقيات معها.
4. تأطير، وتنظيم العرب داخل اتحاد، يمأسس نفسه شيئا فشيئا، موسعا هياكله حتى يتحول إلى كيان معنوي فاعل، تصير لقراراته صيغة ملزمة للبلدان العربية كافة.
5. توسيع، سوق القراءة ودعم سياسة جماهيرية للكتاب.
6. توسيع هامش الإعلام الثقافي الرصين، والتنسيق بين مختلف أجهزته، بهدف تسليط الضوء تعريفيا ونقديا على المؤلفات المترجمة، وينطوي هذا السعي بكل الصيغ على إنشاء دورية تهتم بالترجمة، تحيط القارئ العربي بالمستجدات.

7. رصد جوائز مادية مهمة، تكافئ المترجمين وتعوضهم على مجهوداتهم.
8. توثيق التعاون مع المعاهد الثقافية الأجنبية (الإنجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية والروسية) المتواجدة فوق التراب العربي.
9. تأسيس قاعدة معلومات شاملة، وتنظيم لقاءات دورية، إلخ.

**هل تحظى عملية الترجمة بالتشجيع اللازم للنهوض بالمشهد الثقافي العربي؟**

على ضوء الوارد أعلاه، يصعب الجزم إيجابا. صحيح، مع انعدام رؤية استراتجية شاملة للترجمة في الوطن العربي، فإننا لا نتوفر على أرقام ومعطيات بيانية تقدم مسحا دقيقا للمعطيات: ميزانية الترجمة؟ عدد المترجمين؟ النتاج المترجم، خلال فترات محددة، حيث يسهل الانتهاء إلى مؤشرات يقينية. لكن، إذا علمنا مثلا، أن اليابان تترجم حوالي 30 مليون صفحة سنويا، بينما يترجم العالم العربي حوالي خمس حصة بلد آخر كاليونان. الحصيلة الإجمالية، لما ترجم إلى العربية منذ عصر المأمون حتى الوقت الحالي، لم يتجاوز رقم 10 ألف كتاب، يعادل ما تترجمه إسبانيا خلال سنة واحدة. يصدر العالم سنويا، ما يزيد عن 100 ألف كتاب مترجم، أي أكثر من 12٪. من بين الإصدارات السنوية عالميا. نصيب الوطن العربي من الحصة، لا يتجاوز رقم 330 كتابا، بمعدل كتاب واحد مترجم لكل مليون عربي، مقابل 519 كتابا مترجما

لكل مليون شخص في دولة أوروبية صغيرة كهنغاريا، ثم 920 كتابا لكل مليون نسمة في إسبانيا. فالناتج المترجم داخل هذا البلد المتوسطي، يفوق مجمل ما يترجمه العالم العربي. على سبيل الذكر، وبخصوص معدلات الترجمة دوليا، يبدو بأن الصين تتفوق على اليابان ومعها العالم كله، مما يمنح الصين ممكنات القوة القادمة وبجدارة. وضع، دفع الولايات المتحدة الأمريكية، إلى تدريس اللغة الصينية في أسلاك جامعاتها، سعيا نحو التمكن من مجابهة التحديات التي فرضها ويفرضها بلد ماوتسي تونغ.

**ما أهمية الترجمة في نقل المعارف العلمية؟**

لا تقوم للحضارة قائمة، بدون فتح مختبرات كبيرة للترجمة. نستحضر، بهاته المناسبة دائما مؤسسة «بيت الحكمة» زمن المأمون، وما قام به المترجمون العرب، لما انكبوا آنذاك على سبر أغوار مدخرات التراث الحضاري والمعرفي السابق لديهم، كما بلوره عقل الهنود واليونان والفرس. كان مشروع الترجمة هذا، قد بدأ بشكل موسع ومنظم زمن الدولة الأموية، لكنه بلغ أوجه خلال الفترة العباسية، بحيث أصبحت الدولة تشرف رسميا على العملية. أنشأ المنصور ديوانا للترجمة، ثم طبعا، بيت الحكمة الشهير. بدورهم، الأوربيون استندوا في نهضتهم، كي يخرجوا من عصر الظلمات، على متون ابن رشد وابن سينا. توقف الترجمة عند العرب، بالتالي خسوف إشعاعهم العلمي، استمر من

القرن الحادي عشر الميلادي حتى اللحظة التاريخية النوعية لمحمد علي باشا، الذي اتجه سعيه السياسي صوب بناء دولة حديثة، عبر النهوض بالتعليم، فأرسل بعثات علمية، إلى أوروبا كايطاليا وفرنسا، ثم تركيزه خاصة على الترجمة باعتبارها وسيلة لنقل المعارف الأوروبية الحديثة إلى مصر. سنة 1835 أسس محمد علي مدرسة للترجمة، عرفت بمدرسة الألسن، أدارها رفاعة الطهطاوي، بحيث اختار لها ثمانين طالبا، اهتموا بدراسة العربية والفرنسية والتركية والانجليزية. كما اتجه محمد علي، إلى شراء الكتب العلمية الموصى بها من قبل موظفيه، بهدف ترجمتها، فكانت أولى الكتابات المترجمة في الطب، مؤلف «القول الصحيح في علم التشريح». لقد بقيت الساحة المصرية، إلى جانب اللبنانية والسورية، في موقع الريادة على مستوى إدراك أهمية الترجمة بالنسبة لازدهار الوطن العربي علميا، من خلال تمثله المعارف الأوروبية. بهذا الخصوص، تعد لجنة التأليف والترجمة والنشر، التي تأسست في مصر سنة 1914، من طرف خريجي «مدرسة المعلمين العليا» و«مدرسة الحقوق» مثالا نموذجيا عن العمل الجاد، بحيث تمثل الهدف في ترجمة مجموعة من الكتب الموسوعية الغربية مثل كتاب «تاريخ الحضارة الغربية» ل برتراند راسل، و«قصة الحضارة» ل «وايريل ديورانت». ثم أيضا، مشروع الألف كتاب، الذي ظهرت أولى عناوينه سنة 1955، تحت إشراف الإدارة الثقافية التابعة لوزارة التعليم المصرية، وقد اهتم بأمهات الكلاسيكيات

والفلسفة وعلم النفس والدين والعلوم الاجتماعية واللغات والفنون الجميلة والتاريخ والجغرافيا، لكنه توقف العمل به سنة 1969، وانتظرنا حتى سنة 1986، كي يستأنف عمله عن الهيئة المصرية العامة للكتاب. إذن لنتخيل، شكل وجودنا، لو استمر تراكم الترجمة بخيط لا ينقطع، وبنفس قوة هاجس محمد علي باشا. بالتأكيد، سيكون مغايرا تماما للترهل الذي نحن عليه. فماذا نعرف اليوم عن ما يجري من أبحاث في الفيزياء والبيولوجيا والطب والصيدلة؟ أو ما وصلته مباحث العلوم الإنسانية؟ فمؤسساتنا التعليمية، متخلفة عن الركب بعقود طويلة، لا زالت تكرر ما قتل بحثا وتجاوزه ركب المنظومة المتقدمة بعقود طويلة. مكمن الخلل، يعود طبعا إلى غياب الدور الحيوي الذي تقوم به الترجمة، ونسجها لحوار حضاري، من أجل تطوير الوعي المجتمعي والوصل بالحداثة.

**ما المبادئ العلمية التي يمكن أن يقوم عليها أي مشروع ناجح للترجمة؟**

ليس الترجمة بالعمل الهين، البسيط، الذي يمكن تركه للضحالة والضياع والابتذال. إنها حوار حضاري عميق، بكل ما يحمله البعد من دلالة، تلعب دورا مفصليا في سبيل خلق مجموعة إنسانية متكاملة ومتسامحة، وتبادل الخبرات والملكات بين مكوناتها كي تتناقص باستمرار مولدات اللاتكافؤ، التي تنعش عوامل الصراع. فكل سوء

تقدير، لدور الترجمة أو الاستهانة بما ينجزه الآخر، يشكل بداية للهزيمة الفكرية، ثم ما يترتب عنها من تقويض، لمختلف ركائز البنية المجتمعية المناسبة. نعلم تاريخيا، بأن أسّ الخطاب النهضوي، لماذا تقدم الغرب وتأخرنا نحن؟ سببه الصفعة المدوية التي أحدثتها، غزوة بونابارت إلى مصر، وما حملته بين طياتها من سياق تاريخي مغاير للسائد، بمعنى متطور، فجاء تساؤل نخبة العرب، لماذا بقينا كذلك؟ مفتاح الجواب، مهما اختلفت المرجعيات اتجه إلى الرهان على المعرفي، عبر الترجمة طبعا، من هنا كونيتها وكليتها وجبرية هيكلتها، كي تؤدي ما عليها، وقد استندت على مبادئ علمية، مثل:

1. تحديد الأهداف باستمرار.
2. تعليم الترجمة، وأساليبها بغية تكوين أجيال متتالية يسلم معها المشعل، السابق إلى اللاحق.
3. تكريس مبادئ العمل الجماعي وتكامل السياقات والمباحث.
4. الترجمة عن النصوص الأصلية، وضمان الدقة العلمية بالمراجعة.
5. إغناء الحواشي والهوامش، فذلك يجعل من النص المترجم نصا حيا، مما يبين مدى حرفية ومهنية المترجم.
6. التنسيق إن أمكن، بين المترجم وصاحب النص، كي يتم إخراج النص المترجم في أفضل حالاته، نستحضر جميعا في هذا المقام

مجموعة مؤلفات، شوهت مضامينها وحورت دلالاتها، لأنها ترجمت ترجمة سيئة.

7. وضع مقدمات قراءاتية، للنص المتوخى ترجمته، بهدف تأطيره وموقعته معرفيا.

8. البحث عن أهل الاختصاص، والتنسيق بين المشتغلين داخل مجالات متقاربة.

9. الرهان، على عنصر الكفاءة والتمكن دون أي شكل من أشكال التحيز.

10. لكن قبل ذلك كله، دور الحكومات بخصوص الدعم المادي.

**ما القيمة التي أضافتها المنظمة العربية للترجمة؟**

إذا عدنا إلى موعد 13و11 ماي 1998، حينما نظم مركز دراسات الوحدة العربية الذي يشرف عليه الأستاذ خير الدين حسيب، ندوة فكرية عن الترجمة، انتهت إلى فكرة إنشاء المؤسسة العربية للترجمة، ربما اعتقد المرء وقتها، بأن الأمر سيظل مجرد شعار وحبر على ورق كأغلب المقررات العربية، لكن حقيقة بعد مرور أكثر من أربعة عشر سنة، اكتشفنا بالدليل الملموس دورها النوعي والريادي في نشر وتعميم الفكر العالمي وتبيئة نظرياته داخل الثقافة العربية، ومن خلال ذلك، تثوير الوعي العربي كي يجد مكانته ضمن نطاق ما هو كوني. هكذا، إن تصفحنا قائمة منشوراتها، سنقف على بيبليوغرافيا جد مهمة شكلا ومضمونا، انتقلت

بين مختلف العلوم المعاصرة المنتمية لشتى الثقافات الإنسانية، وملاحقة آخر اجتهاداتها. كل هذا، في ظل هيمنة تقاليد بدائية متكلسة للعمل التطوعي، نظرا لغياب كل أشكال الدعم المادية واللوجيستيكية من قبل المنظومة الرسمية. أثارني شخصيا، المشروع الذي دعا إليه المفكر مطاع صفدي، المتعلق بترجمة الأعمال الكاملة للفلاسفة، الذين أرسوا دعائم الفكر الحديث. طموح في غاية الخلق والروعة والأهمية، يتجاوز إمكانيات الفرد الواحد بل وعشرات الأشخاص، كي يلقي بزمام المسؤولية على جل الأجهزة الرسمية وغير الرسمية والتجمعات الإقليمية. إذن، إلى جانب الاشتغال وفق الرؤية المشروعية، فالمنظمة العربية للترجمة كسرت بعملها مركزية اللغتين الفرنسية والانجليزية، حيث نجد على الأقل الألمانية والايطالية ولما لا مستقبلا الانفتاح على لغات أخرى، مما يدعو بشدة إلى التركيز على دراسة اللغات الأجنبية في مدارسنا، بكيفية عصرية وفعالة، مع خلق امتدادات لها على مستوى الفضاء العمومي، بإنشاء معاهد ومراكز للترجمة.

# خطى غاستون باشلار..
# فينومينولوجيا باشلار

حاوره: حسين محمد شريف

## تقديم

يقف في منتصف عقده الرابع حاملا بين يديه أكثر من اهتمام وناثرا للمعرفة أكثر من جهد يتراوح ما بين التأليف والترجمة والنقد الاجتماعي فضلا عن السياسي. سعيد بوخليط يغرد بلغتين لطالما عبر بهما عن ذاته وهو خارج عن الفرانكو- مغاربية على حد وصف جاك دريدا في كتابه أحادية الأخر اللغوية كونه ليس بأحادي اللغة. متخصص بغاستون باشلار حيث نال الدكتوراه بامتياز عال عن أطروحته الموسومة (الخطاب النقدي والأدبي عند غاستون باشلار: شعرية العناصر الأربعة) صدر له كتاب غاستون باشلار: عقلانية حالمة. وكتاب غاستون باشلار: نحو أفق للحلم. وكتاب غاستون باشلار: بين ذكاء العلم وجمالية القصيدة. وكتاب العقلانية النقدية عند كارل بوبر، تقديم وترجمة. وكتاب غاستون باشلار:نحو نظرية في الأدب. وكتاب المتخيل والعقلانية دراسات في فلسفة غاستون باشلار: وكتاب غاستون باشلار مفاهيم النظرية الجمالية. وكتاب نوابغ سير وحوارات. ترجمة وتقديم. وكتاب قضايا وحوارات بين المنظور الأيديولوجي والمعرفي. وكتاب بين الفلسفة والأدب:

**دراسات وسير. وكتاب يوميات حالم مغربي. فضلا عن عشرات المقالات النقدية كتابة وترجمة في عشرات المواقع الالكترونية والصحف المغربية والعربية والعالمية.**

**كتب باشلار عن الأحلام أكثر من كتاب، غير أنه في عمله: «شعرية حلم اليقظة (1960)»، يركز كثيرا على هذا المنحى، فلماذا منحت اهتماما لهذا النص دون غيره؟**

أولا، يجب الإقرار، أنه عندما ننغمس بين ثنايا كتابات باشلار، على الأقل في جانبها الشعري، والذي كان مجال اهتمامي، فبكل تأكيد يصعب عمليا، تفضيل هذا العنوان دون غيره، أو تخصيص هذا الفقرات دون غيرها، بأولوية التقييم والتأويل والبحث دون الباقي، فكتابات باشلار فاتنة بل مسكرة، تحلق بك بعيدا عن عوالم وأراضي، لم تطأها أقدامنا من قبل. بالتالي، يصعب في واقع الأمر، أن نحصر حقيقة باشلار، على الأقل بحسب ما فهمته من كتاباته، ضمن خانة معينة قائمة الذات، نظرا لأن الرأي الراجح يبتغي والحق كذلك، كمؤسس أولي للنقد الحديث، نتيجة النقلة النوعية المتمثلة في مقاربة باشلار للنص من الداخل، بدل التحديدات السوسيو- بيوغرافية، التي دشنتها تشكلات المنهج الوضعي خلال القرن التاسع عشر. إذن، رغم أن كتابات باشلار حول العناصر الكونية الأربعة، قد وجهت أبرز الأسماء، التي أرست لبنات تراكمات قراءة النص الأدبي: جورج بولي، رولان بارت، روسي، جون بيير ريشار،

شارل مورون، ستاروبنسكي، لوسيان غولدمان، غريماس، جيرار جينيت...، فإنه وبالإحالة على نوعية تحليلاته وطبيعة منظوراته، يفضل باشلار، أن يظل أساسا قارئا حالما، لا غير، وهو التقدير الذي ابتغاه لنفسه. كيف يمكننا الاتفاق موضوعيا على تصنيف، حول حكيم كبير للإنسانية، يرفض حتى المناداة عليه بلقب أستاذ، مفضلا بالأحرى اسمه الشخصي غاستون، ثم جمع بين عشق يزاوج في ذات الآن، بين الرياضيات كما الشعر والآداب، لأنه يستحي «فهم ذرة الفيزياء المعاصرة، دون استحضار تاريخ مجموع صورها، مثلما يستحيل تمثل استراتجيات عمل العلماء، بغير سابقة معرفة، تحيط بجيولوجية مدائن وخرائط دروب الشعراء». هكذا، لفهم تضمينات نظريات آينشتاين العويصة جدا، تفترض أصلا أن نكون قارئين جيدين لأشعار نوفاليس وريلكه وشيلي وبودلير وإدغار بو. يقول باشلار: «لقد وهبت نفسي جسدا وروحا-آه متأخرا-للرياضيات، لكن منذ أن لمستني القصيدة- أيضا بشكل متأخر، فحياتي كلها تحت تأثير التأخير- وقد أدركني العمر، فلا أريد حاليا غير قراءة الكتب الرائعة»، وحتى لا تستغرقني التفاصيل، لأن المقام لا يسمح، يمكنني اختزال الجواب عن سؤالك في إشارة تفتح المجال بالتأكيد، لأبحاث كثيرة. لقد أراد باشلار بكتابه شعرية حلم اليقظة (la reverie)، الذي يتميز عن الحلم (le rêve)، دراسة أحلام اليقظة بحسب المنهج الظاهراتي، وعبره الإحاطة بكنه الصور الشعرية.

**حقا يلجأ باشلار إلى اعتماد أسلوبه الفينومينولوجي بهدف تفسير سيرورات أحلام اليقظة، متجاوزا التحليل النفسي الذي أهمل الأحلام، بحسب باشلار، ما إضافته في هذا المضمار؟**

أولا، بخصوص علاقة باشلار بالتحليل النفسي، تنبغي الإحالة على جملة جامعة، مانعة صاغها حوله روجي فايول: «متحمس للتحليل النفسي، عارف بفرويد، ومعجب بيونغ». أما باشلار الذي يعتبر أحد المؤسسين الكبار لمبدأ استلهام التحليل النفسي في قراءة الأدب، وفي تمثل مسارات العلم، نتذكر جيدا عنوان كتابه: تشكل الفكر العلمي، مساهمة في التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية (1938)، من أجل سبر أغوار العوائق والعقبات الابستمولوجية، وبالتالي رصد أخطائه. فقد أجاب عن الطرح، بكيفية قدر مظهر تواضعها الجم، فهي موغلة في المجاز الإيحائي، مفادها، أن التحليل النفسي يتطلب ثقافة طبية وخاصة تجربة كبيرة عن العُصابيين. «فيما يخصني، لا أملك من سبيل لمعرفة الفرد غير القراءة، تلك القراءة الرائعة التي تحكم على الإنسان انطلاقا مما يكتبه». إذن، هذا التفاعل الحي والخصب، مع النص كقصدية باشلارية، سيشكل قطيعة مع التحليل النفسي الكلاسيكي، الذي اختزل وقلص الصورة إلى مجرد راسب لإدراكات قديمة، تتجلى بطريقة ما عن طريق الذاكرة. أما الظاهراتية عند باشلار، فقد انطلقت من مبدأ حضور الوعي، الذي ينمو ويتطور باستمرار نتيجة قراءة دائمة للشعر والشعراء، مما يحتم على القارئ إعادة إنتاج الحدث الإبداعي. تمثل مشروع

باشلار، في ملاحقة الصورة الشعرية الفتية والأولانية، غير المقيدة بأي تحديد نظري. صورة يدركها الوعي الذاتي في آنيتها وحضورها المباشر، من خلال انبعاثها التلقائي... لذلك تبنى الظاهراتية، كما أوضح في كتابه شعرية حلم اليقظة، كمنهجية تمكن من استعادة ذاتية الصور، وتناول قيمتها الجديدة. طبعا، إذا كانت أسماء عظيمة مثل هوسرل وهيدغر وميرلوبونتي وسارتر، قد طورت الظاهراتية على مستوى النظرية الفلسفية في محدداتها الأنطولوجية، فإنه بخصوص النقد الأدبي، يعتبر باشلار الرائد الأول، ثم تطور الدرس مع أعمال مارسيل ريمون وجان بيير ريشار وجورج بولي وورومان إغدن.

**منذ الفصل الأول من كتاب «شعرية حلم اليقظة»، يشتغل باشلار على أنواع الكلمات ودلالاتها، لا سيما ما يتعلق بالتفريق الذي تقيمه اللغة بين ما يعتبره حلم اليقظة المؤنث، والحلم المذكر كيف لك أن توضح المزيد للقارئ؟**

لقد استدعى باشلار أحلام اليقظة، بناء على مفهومين أساسيين للتحليل النفسي اليونغي وأقصد بهما الأنيما (Anima) والأنيموس (Animus)، يشير المعنى الأول إلى أحلام اليقظة الأنثوية، في حين يتضمن الثاني أحلام اليقظة الذكورية، يقول بهذا الخصوص: «كي لا يحصل غموض والتباس مع حقائق سيكولوجيا السطح، فقد جاء يونغ بفكرة صائبة تقوم على وضع ذكورية وأنثوية الأعماق تحت التأثير

المـزدوج لاسـمين لاتنيـين: أنيمـوس وأنيمـا. اسـمان لـروح واحـدة، ضروريان من أجل تبين حقيقة النفس الإنسانية. فالرجل الأكثر رجولة، والذي نصفه بصاحب أنيموس قوي، يتوفر كذلك على أنيما قد تكون لها تمظهرات متناقضة. أيضا، المرأة الأكثر أنوثة، تنطوي على خصائص نفسية تثبت وجود الأنيموس. إن الحياة الاجتماعية المعاصرة، بتنافسيتها التي تخلط الأجناس، تعلمنا كيف نكبح مظاهر الخنثوية (L androgyn)». هذا التأسيس الجديد لمفهوم الذكورة والأنوثة، أتاح لباشلار إمكانية تفجير مفهوم الصورة الشعرية، جراء القطيعة الواضحة التي أقامها بين الحلم وحلم اليقظة، أو حلم الليل وشرود النهار.

**بالنسبة لباشلار، لا تشبه اللذة المتأتية من حلم اليقظة تلك الناتجة عن الحلم، فالأولى واعية، راهنة وملموسة، أما حالم الليل فلا يمكنه أن يعلن فعل إيمان ما ينبع من حلمه، لأن حلم الليل حلم بدون حالم، ماذا يقصد بذلك؟**

فعلا، هو تحديد جوهري عند باشلار، وتمايز مفصلي، قلَب في إطاره مسار الفكر العربي، من الكوجيطو الديكارتي «أنا أفكر، إذن أنا موجود»، إلى كوجيطو حالم على منوال «أنا أحلم أحلام يقظة، إذن أنا موجود». هكذا، يصعب التكلم عن كوجيطو بالنسبة لحالم الليل، ما دام لا يمكن الانتقال من الحلم الليلي إلى الشعور بوجود الذات الحالمة. بالتالي، لا يمكن للظاهراتي الاشتغال معتمدا على وثائق الأحلام الليلية، ويتنازل عن

أمر الحلم إلى المحلل النفسي وكذا الأنثروبولوجي قصد المقارنة بين الأحلام والأساطير. الذات، منفلتة منا، أثناء الحلم الليلي. لذا التجأ باشلار في المقابل، إلى حلم اليقظة بهدف تمثل زخم القوى الشعرية في الحياة النفسية الإنسانية. حالم حلم اليقظة، حاضر مع تأمله، يبني نشاطه الحُلمي، بكيفية واعية، هكذا تتعلق أحلام اليقظة مباشرة بموضوعها.

**في الفصل الثاني يطالب باشلار، بعلم نفس كامل لا يعطي أفضلية لأي عنصر من النفسية الإنسانية؟**

لقد التجأ باشلار بداية إلى بوصلة التحليل النفسي الكلاسيكي، مستعملا مفاهيم الإسقاط والكبت والعقدة والتسامي، سواء في دراسته عن الشاعر لوتريامون، أو قراءته لأخطاء تاريخ العلم ثم تحليله للمنظومة المعرفية المتمحورة حول النار ونجد بين طيات كتاباته إحالة دائمة على المشتغلين بالتحليل النفسي: فرويد، أبراهام، رانك، جونس، أليندي. لكن يبقى ملهمه بالأساس، هو يونغ، حيث استثمره خاصة في أعماله التالية لكتاب النار، مستندا على التوظيف المنهجي لمفاهيمه: اللاوعي الجمعي، الأنيموس، الأنيما والنموذج الأصلي. ثم توضحت أكثر في المحددات التأويلية لموضوعات كتابه شعرية حلم اليقظة، باستناد باشلار مبدئيا على فرضية يونغ القائلة، بأن الكائن الإنساني الواحد يقوم على ثنائية جنسية، والسيكولوجيا الفردية متعلقة بهذين الجنسين أي خنثية، موظفا أسطورة أندروجين الأفلاطونية.

**في الفصل الثالث والمعنون بالتأملات الشاردة نحو الطفولة، شدد باشلار على أن الأخيرة ليس مُؤرخة نفسانيا، ماذا قصد بذلك؟**

بمعنى إزالة الصبغة المجتمعية عن ماضي الطفولة من خلال حكايات الآخرين، والقيام بدل ذلك، بعملية تأريخ ذاتية تتأسس على الذاكرة والتخيل. بهذا الخصوص، أشار باشلار إلى نوع من التحليل الشاعري لطفولة، تنمذج مثالا لسعادة بسيطة وحقيقية. موقف يحتم علينا، أن نكون في الوقت نفسه: شعراء وعلماء نفس. تلمس الطفولة بقصائد شعرية، يفضي إلى نتائج أكثر أهمية من تحليلها بالذكريات، كما أن رؤية الطفولة بحلم اليقظة أو التأمل الشارد، أبقى وأسمى من استرجاعها بالوقائع. الشعراء، يحدسون أشياء أخرى في الإنسان، يعجز علماء النفس عن تحسسها. يعيش داخل كل حالم، طفل، تسامت به الأحلام الشاردة، التي هي قدر كل واحد منا.

**هل يقترب كوجيطو الحلم المقترح عند باشلار، من كوجيطو ديكارت. بمعنى ثان، هل يقول: أنا أحلم إذن أنا موجود؟**

بل يتقاطع معه، الذات الحالمة مقابل الذات المفكرة. غير أنه، إذا وضعنا كوجيطو باشلار، ضمن إطار مشروعه الخاص وانتقلنا إلى السياق العام للفلسفة الغربية، على الأقل منذ العقلانية الديكارتية، فسيظهر جليا أن باشلار تكملة لديكارت، وقد اكتمل رافدا العلم والقصيدة، العقل والخيال، الفكر والحلم.

**يؤكد باشلار مرارا، أنه كتب عمله «شعرية حلم اليقظة» بحسب قواعد الأنيما، ويطالب قراءه بتأويله بحسب هذا التحديد. طبعا، يتوجه إلى قارئ ليس بالضرورة غربيا. هل أفلحت قاعدة الأنيما مع العقل الشرقي؟**

حتما لن يكون الأمر بديهيا، نظرا لنوعية المرجعيات الثقافية التي أسست العقل الشرقي. أيضا، باشلار لم يُترجم كفاية وكما ينبغي، ولم يسلط الاهتمام على قسم كبير من كتاباته بحيث وقفت شهرته في الفكر العربي على مفهومي العائق والقطيعة، نتيجة تفعيلهما الإجرائي المعرفي من طرف الأستاذ الجابري، لقراءة التراث العربي.

**قد نعرج بعيدا، وننحو قليلا بالتساؤل عن شغف العقل المغربي بالنقد وأولياته المتفرنسة قياسا إلى العقل المشرقي، ثنائية لطالما أثارت لغطًا ما بين مؤيد لها ومعارض. أقول لماذا يزدهر هذا النسق عندكم؟**

وأضيف تفوق المغاربة في الفلسفة والنقد والترجمة، مقابل ريادة المشارقة في الشعر والرواية والفنون. أظنها، ليست على الدوام تصنيفات عادلة، وتبقى في منحاها العام نسبية. لكن إجمالا، ولأسباب تاريخية، ارتبطنا في المغرب بالفكر الفرنسي، الذي هو كما يقال مجرد «ترجمة» لما صاغه الألمان. ولا أحد ينكر سمة التعقيد النظري المجرد المميز لاجتهادات الجرمان، مقارنة مع الطابع الوصفي المباشر المهيمن على الأنكلوساكسونيين.

**المفكر المغربي سعيد بوخليط، ماذا أضاف باشلار إليك، وماذا ستضيف إلى الخطاب النقدي والفينومينولوجي العربي؟ وما رهانات تلك الإضافة، لا سيما ونحن نعيش أكثر من أزمة، بدءا من وعي أنفسنا وانتهاء بفهم الآخر؟**

عفوا، لا أحب صفة مفكر، ولا أي لقب مؤسساتي أو أكاديمي، وهذا أول شيء تعلمته من مصاحبة كتابات باشلار، وإن كان لا بد، فكلمة باحث تفي كثيرا بالغرض، لأنها تنهل معينها من التحصيل وديمومة التكوين المعرفي. والأمر كذلك، فما أنجزته حتى الآن منذ أول مقالتي بداية التسعينات، يبقى فقط تعبيرا عن رغبات وقراءات وتأملات مبهجة، وتجليات لما أحبه حقا وسط دوامة من الاكراهات المفروضة، ولا علاقة لها بتاتا بالسعي إلى صياغة نظرية من النظريات كما الحال مع المفكرين. طبعا، يسكنني هاجس أن أساهم بأشياء جميلة ومعبرة. أيضا، وازع إيتيقي تعلمته من باشلار.

**بماذا ترغب أن نختتم حوارنا هذا، الذي أنبت ثماره في حديقة الوعي لقارئك أينما كان؟**

دعوة مفتوحة وصادقة، لمن يجد في نفسه الرغبة والقدرة كي ننكب على ترجمة مؤلفات باشلارية في غاية الأهمية، إلى العربية، لا زالت عالقة بين الرفوف.

# مفهوم الخيال الباشلاري..
# نظرية العناصر الأربعة

حاوره: أشرف الحساني

**صدر لك إلى حدود اليوم أكثر من عشر إصدارات حول فلسفة الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار. ترجمة وتنظيرا. لماذا هذا الاهتمام الكبير بفلسفة باشلار الأدبية والجمالية على حساب فلسفته العلمية؟**

أولا، بحكم تخصصي الجامعي، فانتمائي كطالب لقسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، سنوات التسعينات، لا سيما درس النقد العربي الحديث ضمن ما سمي آنذاك وحدة البلاغة وتكامل المعارف، خلال مرحلة الدكتوراه، ألزمني طبعا كي ينصب تفكيري بخصوص مشروع الأطروحة، على موضوع يبقى أساسا ضمن ممكنات الدرس الأدبي. بالتالي، لم يكن من مجال ثان بعد أن اتجه تخميني أصلا نحو غاستون باشلار، سوى باشلار/الأدبي دون باشلار/ العلمي، المنتمي أساسا إلى أجواء شعبة الفلسفة وفضاءات كليات العلوم. بل وحتى إن أجازت لي حيثيات التخصص المؤسساتي الضيق، بالبحث في المألوف والمتداول أي باشلار/العلمي، فسيكون ذلك استمرارا لإجحاف كبير في حق متون باشلار/الأدبي. لأن باشلار صاحب النظريات العديدة تلميحيا

والنوعية جدا، حول نصوص شعرية وأدبية تجتر تقريبا مختلف مراحل تاريخ الآداب الغربية، ورائدا مؤسسا لما سمي النقد الجديد، لكنها بقيت مهملة في ثقافتنا المغربية والعربية، ولم يلتفت إليها سوى لماما، مقارنة مع الاحتفاء الذي عرفه باشلار مؤرخ العلم وملهم نظرية إبستمولوجية اجتهدت كي تجد أجوبة جديدة تخرج العلم من أزماته المعرفية والمنهجية التي اصطدم بها، جراء التطورات الانقلابية إن صح التعبير للفيزياء والرياضيات، خلال بداية القرن العشرين. هكذا وبشكل سريع، يمكننا الوقوف فقط على ترجمات لما كتبه باشلار/الأدبي، دون الانتقال إلى تمحيص قيمتها، وهي معدودة عدد أصابع اليد الواحدة، مع وجود أكثر من ترجمة لعمل واحد: (حدس اللحظة) ترجمة رضا عزوز وعبد السلام زمزم، (جدلية الزمن) ترجمة خليل أحمد خليل، (النار في التحليل النفسي) ترجمة نهاد خياطة، (النار: التحليل النفسي لأحلام اليقظة) ترجمة درويش الحلوحي، (التحليل النفسي للنار) ترجمة زينب الخضيري، (الماء والأحلام دراسة عن الخيال والمادة) ترجمة علي نجيب، (جمالية المكان) ترجمة غالب هلسا، (شعرية حلم اليقظة: علم شاعرية التأملات الشاردة) ترجمة جورج سعد، ( شعلة قنديل) ترجمة خليل أحمد خليل ( لهيب شمعة) ترجمة مي عبد الكريم محمود (لوتريامون) ترجمة حسن عجة إذن بحذف العناوين المكررة، دون التحول كما أشرت سابقا، إلى تلمس مضامينها ومدى مستويات تحكم

تلك الترجمات حقا بخيوط النص الأصلي، ذي الأسلوب البلاغي المنفرد والمتجاوز لذاته باستمرار، لأن باشلار لا يكف عن الحلم، حين الكتابة. وهل فعلا أثارت لدى القارئ العربي، نهما لمزيد من القراءة أم عكرت صفوه وأبعدته عن سياق باشلار؟ فالترجمة كما يعلم الباحثون، قد تكون عملية مربحة تماما أو مفلسة كفاية. أقول، بعد عملية ترميم دقيقة، كم سيبدو لنا المشهد شحيحا وجافا مقارنة؟ مع مؤلفات باشلار الخصبة ودراساته الغنية حول الشعر والشعراء والخيال والعناصر الكونية والأمزجة الأدبية، إلخ.

**في نفس الطرح كيف جعل غاستون باشلار من عنصر الخيال نظرية علمية، تأسس بموجبها مشروعه الفكري والجمالي الداعي إلى عدم الفصل بين العلم والقصيدة، أي بين فلسفته الإبستيمية وفلسفته الجمالية؟**

مثلما أكدت من خلال أبحاثي السابقة عن باشلار، فقد تحددت جمالية مشروعه الأدبي وقبله العلمي، انطلاقا من سعيه إلى ملاحقة معطيات الخيال غاية لا نهائيتها، متوخيا إعادة فهم هذه الملكة الإنسانية الملغزة والغامضة والمرعبة والفاتنة والملموسة والمجردة والمتناهية في اللا اكتمال. لذلك اتجه باشلار إلى استبطان مجموعة من المكونات الجمالية لنصوص نثرية وشعرية ومتون روائية ولوحات تشكيلية وأساطير ولاهوت وإتنوغرافيا كي يتمثل معطياتها الذاتية. وذلك للإجابة على سؤال رئيسي حكم مشروع باشلار، لم يفصح عنه بشكل جلي، لكننا

نستشفه عبر الأطروحات، التي انطوت عليها كتاباته: كيف يشتغل الخيال البشري وينتج صورا فنية في علاقاته بالعناصر الكوسمولوجية الأربعة: الأرض، الهواء، الماء، والنار؟ وقوف باشلار على نماذج أساسية لمجموعة صور مختلفة جذريا انطوت عليها نصوص مبدعين كبار، على شاكلة بودلير وإدغار آلان بو ومالارميه وفيكتور هيغو وهوفمان ورامبو وفيكتور هيغو ونوفاليس وشيلي ونيتشه...، مكنه من تبين الخصائص الأنطولوجية والاختلافات المعرفية بين مختلف الصور التي ينتجها الخيال حيال كل عنصر من العناصر الأربعة، لهذا سيتحدث عن أنماط مختلفة من الخيال. عموما، تطلع مشروع باشلار، سواء في اشتغالاته الشعرية أو العلمية، صوب تأسيس جمالية، من خلال بحثه في كيفيات تمثل الخيال الإنساني للوجود سواء بالقصيدة الشعرية أو النظرية العلمية، بحيث تأسست كتابات باشلار على محورين كبيرين قد يبدوان متعارضين حد التناقض هما: الإبستمولوجيا التاريخية وكذا الخيال الشعري. فالخيط الرابط بين مجالي التفكيريين، تمثل في اهتمام باشلار الكبير بهذه القدرة المبدعة الخلاقة عند الإنسان. لقد توخت جمالية باشلار تأسيس شاعرية للحلم، فعمل بكل ذلك على تنظيم حوار بين عقله وخياله مكرسا دراسات متوازية للعلم والنظرية الشعرية، بالتالي وجد إيقاعه على حد تعبير ميشيل مانسي.

**يرى الباحث التونسي رضا عزوز في حديثه عن الترجمة كونها «إعادة كتابة للنص في أفق تمثل مجموعة من الأعمال تنتمي لثقافة أخرى اعتمادا على مؤسسات تستهدف ليس فقط استيعاب مؤلفات ثقافية أخرى ولكن تجديد لغة الترجمة». إلى أي حد توفق المترجمون العرب في ترجمة باشلار إلى العربية؟ ثم ما الجديد الذي أضافه فكر غاستون باشلار إلى الفلسفة العربية؟**

إبان أول سنوات اتصالي بالمتن الباشلار، رجعت إلى بعض من تلك الترجمات قصد الاستئناس بها بداية، لكنها بدت غير موحية بتاتا، لغتها خرساء يستحيل معها أن تشكل وساطة صادقة وأمينة، بين اللغة العربية وباشلار. إما جراء عدم الإلمام أو جعل الترجمة رهينة عملية تجارية ميركانتيلية، تسمح فقط بالاستسهال، فالنص الباشلاري مثل كل النصوص العميقة والكبرى، ليس سهلا بتاتا. ليس المهم اكتفاء المترجم بالمبنى والمعنى الشكليين وكفى، بل يحتاج سعيه إلى منظومة بأكملها من الطقوس اليومية المتواصلة، تتمثل في العشق والشغف والمتابعة والقراءة والكتابة والفهم والتأويل والترديد الصامت حتى يتحقق التآلف الحميمي بينه والنص، وهو بمثابة شرط مفصلي لإخراج نص يتكيف مع وضعه الجديد بكل أريحية. تكمن صعوبة ترجمة باشلار في: موسوعيته، لغته الشعرية الحالمة، مرجعياته الخاصة، نحته لمصطلحات جديدة.

ترجمة نص بهذه الجدارة، وبالاستحقاق الذي يرتقي إلى مقامه، لا يمكنه حتما سوى إثراء الفكر العربي وتغيير بنياته.

**صدر لك هذه السنة عن دار مها للنشر والتوزيع والترجمة في مصر، كتاب «أمي الحبيبة.. من بودلير إلى سانت إيكزوبيري»، وهو عبارة عن ترجمة لمجموعة من الرسائل لكبار الفلاسفة والأدباء إلى أمهاتهم. إلى أي حد يمكن اعتبار الرسائل، هي الأخرى كتابة بمفهومها المطلق؟ ثم ما القيمة العلمية والفكرية والجمالية التي يمكن أن تضيفها هذا الرسائل إلى حقل الكتابة الأدبية؟**

يستهويني جدا، هذا النوع من الكتابات، وتمدني أثناء قراءتها بمتعة متفردة. لذلك أبادر إلى ترجمتها ولا زالت مشاريع أخرى تنتظر في هذا الإطار، كي أتقاسم ثانية مع القارئ هذه المتعة. كأني أعيش مع هذا الكاتب أو ذاك تفاصيل حياته الخاصة. أضحينا أصدقاء باقتحام مني طبعا، لكنه لم يظهر أي امتعاض يذكر، بل رحب واستضافني ثم شرع يحدثني بين الفينة والثانية عن هواجس محض ذاتية يعيشها فقط مع نفسه، فأنصت إلى حكاياته الجوانية التي لا يعرفها الآخرون، محاولا في ذات الوقت، استيعاب لبابها سواء لفهم المشكلات التي أعيشها ذاتيا، أو يضمرها مصيري الوجودي. أيوجد في الكون أجمل من الاستماع إلى أشخاص من صنف: بودلير، بروست، همنغواي، أنطوان دي سانت إيكزوبيري، فوكنر، كوكتو، هنري جيمس، أندريه جيد...، وكل عظماء

البشرية، ذكرياتهم، حنينهم، رحلاتهم، حكاياتهم الوضاءة، لحظاتهم الحميمية، ساعات نومهم واستيقاظهم، مشاعر الغضب والفرح والحب؟

**لا جدال في كونك أحد الباحثين المتخصصين في الترجمة والتنظير في الفكر الباشلاري. هل لك مفهومك الخاص للترجمة؟ ثم كيف ترى وتقيم واقع الترجمة في العالم العربي؟**

الترجمة أفق كوني بالنسبة للشعوب والحضارات، وهي إحدى وصفات تحقيق النهضة والتطور، فلا تقوم لحضارة ما قائمة، بدون فتح مختبرات كبيرة تترجم وتكرس واقعيا جوهر ما ترجمته. بالتالي، الترجمة مشروع مجتمعي يتأسس بالتعدد. ورش وطني وقومي، يقتضي مخططات جادة وأهدافا وطنية بعيدة المدى تصب فيها لبنات وروافد عدة، تستحضر السياسي والثقافي والاقتصادي والأنتروبولوجي، ضمن هياكل ومؤسسات وميزانيات معتبرة، للكتابة والكتاب والقراءة وهيآت ولوجستيك إلى آخره. هذا حال الترجمة بالنسبة إلى الدول المتقدمة، أما في المغرب وبجانبه باقي المجموعة العربية، فلا زلنا بعيدين تمام البعد عن سياق كهذا، ولا أظنه تطلع قد يتحقق آجلا وليس عاجلا في ظل حالة التلاشي العامة التي نحياها. لذلك ما علينا سوى أن يعتمد كل واحد على نفسه وإرادته الذاتية وبلورة الأفكار التي يؤمن بها في حدود ما يقدر عليه، المهم أن تبادر.

**نفس الطرح في مقالة متميزة لك ضمن مقالات كتابك «بين الفلسفة والأدب»، دراسات وسير (دار الحامد، الأردن، 2015) حول راهن الترجمة في العالم العربي، حيث قلت بأن ضحالة وضعف مؤسسات الترجمة عربيا، جاء نتيجة: «غياب الروافد الأصلية لمشروع علمي متكامل، في إطار الدولة التحديثية التي بمقدورها تكلم لغة العصر على جميع الواجهات». كيف في نظرك، يمكن لهذه المؤسسات الخروج من بوتقة البؤس التخلف والانحدار الحضاري الذي تتخبط فيه إلى نهضة معرفية تنويرية وحداثية كونية؟**

أولا، يجب أن نمتلك حقا مؤسسات للترجمة بالمعنى الأكاديمي للكلمة، تسندها رؤى مستقبلية وتحظى باستقلالية معرفية تامة، متحررة من كل الالتزامات الضيقة التي تخدم مصالح ظرفية عابرة لهذه الجهة أو تلك، مسألة تبدو غير ممكنة في ظل انتفاء مجتمع الديمقراطية، مما يحيلنا باستمرار أولا وأخيرا، على المشروع المجتمعي الصميمي والتحولات الفكرية النوعية.

**سيصدر لك قريبا عن دار فضاءات الأردنية، ترجمة لرحلة الروائي جوزيف كيسيل إلى سوريا سنوات العشرينات تحت عنوان: في سوريا. ماذا يمكنك القول بهذا الخصوص؟**

نعم هو عمل سردي، وثق من خلاله جوزيف كيسيل، مختلف الأحداث التي عاشها خلال رحلته إلى سوريا ولبنان سنوات العشرينات،

لكن المدهش أنه سيعمل على تأويلها بكيفية جعلته يستشرف ضمنيا بحسب حسه الإبداعي العميق والنافذ ما ستعيشه سوريا ابتداء من سنة 2011 لذلك كتبت في التقديم لهذه الترجمة بعضا مما يلي «من يفسر لماذا نُقتل ومن يقتل؟ في الحقيقة، إذا كان من عذر لافتقاد المعلومة، فبوسعنا البحث عنها ضمن التعقيد المرعب الذي يسود سوريا»، هذه الجملة المكثفة والمركزة جدا، قدر استشرافها البعيد المدى، انطوت عليها إحدى فقرات كتاب جوزيف كيسيل، الذي يعود تاريخه إلى أواسط سنوات العشرينات. المفارقة المدهشة، رغم قدم المسافة بعقود طويلة، فبالتأكيد، عبارة لا زالت تنطبق حتى اليوم، ربما تمام الانطباق، بدون مبالغة، على ما تعانيه سوريا: مجرد مطالب مشروعة، لشعب بحقه في دولة مؤسساتية مدنية، تنتسب إلى العالم المعاصر، غدت بجرة غفلة من الجميع، صراعا همجيا يلامس باستمرار أقصى درجات الضراوة. قدر أيضا، تبلور أعتى مستويات اللا-معقولية، التي يعجز أي ذهن بشري عن تمثلها. إذن: لما تعاني سوريا ما تكابده؟ لماذا يُقتل الناس هناك؟ من القاتل؟ ثم أساسا وقبل كل شيء ما دواعي ومبررات القتل؟ حتما، العبقري كيسيل استبق غفلتنا جميعا».

# لماذا هذا المشروع الباشلاري؟
# بعض المرتكزات الإبيتيقية لفكر باشلار

حاوره: باسمة الحامد

## تقديم

ولد سعيد بوخليط، أواخر شهر يونيو 1970، بمدينة مراكش المغربية. توج مساره التعليمي والجامعي، بحصوله سنة 2004 على شهادة الدكتوراه، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، التابعة لجامعة القاضي عياض، بأطروحة في النقد الحديث تناولت الجوانب الأدبية والشعرية، ضمن الاشتغالات الأدبية والشعرية لغاستون باشلار، من خلال الأبعاد الحُلُمية للمكونات الكوسمولوجية الأربعة: الماء، النار، الهواء، والأرض. بين متواليات نصوص بعض الأدباء والشعراء. نشرت الجرائد المغربية أولى مقالاته، منذ سنة 1994، وصدرت له عن دور نشر مغربية وجزائرية ومصرية وأردنية، عناوين المؤلفات التالية: غاستون باشلار: عقلانية حالمة (2002)، غاستون باشلار: نحو أفق للحلم (2005)، غاستون باشلار: بين ذكاء العلم وجمالية القصيدة (2009)، العقلانية النقدية عند كارل بوبر (2009)، غاستون باشلار: نحو نظرية في الأدب (2011)، غاستون باشلار: مفاهيم النظرية الجمالية (2012)، نوابغ: سير وحوارات (2012)، المتخيل والعقلانية: دراسات في فلسفة غاستون

**باشلار (2013)، قضايا وحوارات بين المنظور الإيديولوجي والمعرفي (2014)، بين الفلسفة والأدب (2014)، يوميات حالم مغربي (2015)، أعلام وقضايا وأحداث على غير المألوف (2016)، تأملات في بعض يوميات التردي العربي وتحديات التغيير (2016)، أمي الحبيبة من بودلير إلى سانت إيكزوبيري: رسائل أدباء (2017)، آفاق إنسانية لا متناهية: حوارات ومناظرات (2018). وشارك بمقالتين في كتابين جماعيين، حول فاطمة المرنيسي وجاك ديريدا. يشغل حاليا، مهنة مدرس للغة العربية، في سلك التعليم الثانوي التأهيلي، بإحدى المؤسسات التعليمية المتواجدة بضواحي مدينة مراكش.**

**لكن أيضا كيف يقدم سعيد بوخليط نفسه للقراء؟**

منذ أدركت بوعي ناضج رسالتي الشخصية، الوحيدة الجديرة بأن أحمل حقا أعباءها على كاهلي، بكامل اختياري شخصي، وقناعاتي التامة، فقد أحببت الاشتغال ضمن سبيل، يجعل باستمرار مقتنعا كي أصف نفسي بنعت قارئ حالم، يعشق ما يقرأه يوميا، ثم في أقصى الحالات التي تتوخى احترام، بشكل من الأشكال، منظومة التقنين التقليدي امتثالا للأعراف الأكاديمية المتوارثة، فأحب كثيرا عند هذا المستوى، كلمة باحث. نعم، لا يوجد في رأيي، أكثر جمالية، ورومانسية، وزخما، وبهاء، وتصوفا، وتحفيزا، وبساطة، وتقديرا سويا للأنا، غير استيعاب ممكنات وآفاق وماهية، صنعة ومهنة أن تكون باحثا. هكذا،

أتطلع صبيحة كل يوم، جهة استلهام جانب من هذا السعي، متوخيا بين طيات ذلك، إقناع نفسي قبل الآخر، بحقي كي أتمتع بالحقوق الطبيعية والمدنية، المترتبة عن صفة باحث، ألا وهي: الحرية الذاتية، الانسجام الذاتي، الوعي الذاتي والموضوعي، الشفافية، تقديس المعرفة وحب الإنسانية.

**قدمت العديد من الدراسات الأكاديمية الهامة حول غاستون باشلار، ما الذي شدّك للبحث والتمحيص في عوالم هذا الفيلسوف الفرنسي تحديداً؟**

في الحقيقة، يصعب ربط وتجميع خيوط البداية، عند نقطة واحدة، دون مجموعة تفاصيل أخرى، حددت بكيفية من الصيغ مسارا على هذا النحو، تعلمت منه قيما ملموسة قبل معارف مجردة، ومرتكزات لا محيد عنها قصد مواجهة الحياة بكل ثقلها العبثي، لا سيما قياسا إلى منظومات بلداننا الفاشلة. اختياري شعرية غاستون باشلار، وأنا لا زلت مبتدئا جدا بهذا الخصوص، رغم جل ما كتبته منذ عقدين تقريبا، لأنه موضوع يحتاج أكثر فأكثر، إلى مشروع بحثي مفرط في الجدية وطويل النَّفَس: ترجمة، تأليفا، بحثا. عموما، أقول وكما أوضحت إبان مناسبات أخرى غير هذه، انتقل باشلار من بحث للحصول على شهادة جامعية، إلى شيخ جليل، عزيز جدا، لم أعد قادرا بتاتا الاستغناء عنه، رغم أني أغير الوجهة بين الفينة والأخرى، كما الشأن منذ سنوات، يستمر باشلار، متسيدا قلبي

وعقلي، آخذا بتلابيب وجداني. أوراش شتى قابعة تنتظر: دراسات تتوخى الانكباب قصد توضيح مستفيض لعلاقة غاستون باشلار الأبوية، بتيارات النقد الحديث والمعاصر. أيضا، تفتقر خزانتنا العربية إلى أهم مؤلفات باشلار الأدبية (الأرض، الماء، النار، الهواء) ومن خلالها تصوراته حول بودلير نوفاليس ولوتريامون وفيكتور هيجو ورامبو ونيتشه ومالارميه وسوينبرن وبروتون وأراغون وشيلينغ وريلكه وشيلر...

**من المعروف أن باشلار آمن بفكرة الحوار بوصفها تشكّل علامة فارقة بالنسبة لمسار الثقافة الإنسانية لكن.. إلى أي حد تجد أن المبدع العربي متمسك بهذه الفكرة كآلية ثقافية مهمة لمدّ الجسور مع الآخر؟**

تماما، لقد آمن باشلار بالحوار تنظيرا ومسلكا، مفهوما وأسلوبا حياتيا. حوار بين المعارف عموما، الأدب والعلوم، الرياضيات والشعر، لذلك اشتغل عمليا على أطروحتين لنيل الدكتوراه، في الفيزياء وأخرى اهتمت بالأدب. حوار، داخل حجرات فصول الدراسة، بحيث درَّس في ثانوية قريته بمنطقة شامبانيا، الفيزياء والفلسفة. محاورته لكل الثقافات الإنسانية، بحيث تصعب الإحاطة حقيقة بمرجعيات هوامشه وحواشيه، ما دامت معارفه غزيرة ومتنوعة، تنتقل بيسر وليونة وزخم خاصة، بين جغرافية عدة ونظريات شتى من تأويلات الخيمياء القديمة حتى أعقد النظريات الكيميائية أو الطبية الحديثة في عصره. كذلك، شكَّل متنه حوارا مذهلا بين التيارات الأدبية الممتدة من الكلاسيكية غاية السوريالية.

باشلار موسوعة متنقلة، لأنه عالِم منفتح جدا، في غاية التواضع والحكمة والنبل والسخاء، شديد الشغف بأبسط تفاصيل الشعري/ الجمالي. باشلار، أحد أساتذة الفكر البشري الكبار، الذي يفاجئك بمقاطع شعرية استلهمها من دفاتر شاعر مبتدئ، مغمور، ويضعها إلى جانب أخرى لبودلير مثلا. بالنسبة للشق الثاني من سؤالكم، المتعلق بمدى التزام المبدع العربي، بآلية الحوار، فلا شك أن هذا المبدع يلزمه خوض حرب ضروس، صادقة ومبدئية أساسا، ضد ذاته أولا بكل ترسباتها المرضية وواقعه الموضوعي المختل، ربما تخلص قيد أنملة، من هول جبروت المنظومات التوتاليتارية المستبدة التي تتقاذفه تسلطا، بلا رحمة منذ حضن أمه غاية لحده. السياق، الذي أوجد بطبيعة الحال، مختلف هذه التصدعات والتمزقات البهلوانية المؤلمة، بين نظرية المبدع العربي وسلوكه، تحوله الزئبقي بحسب الأهواء والمصالح، المفارقات الشيزوفرينية السيكوباتية، بين الظاهر والباطن.

**تُعد الترجمة أحد أهم وسائل الإنتاج المعرفي.. فكيف يمكن تفعيل هذه الوسيلة لتلعب دورها الإيجابي بالانفتاح الحضاري في ضوء التفاقم الملحوظ لأزمات المنطقة العربية؟**

تعتبر الترجمة، مثلما يعلم الجميع، وكما توضح جليا عبر التحولات الثقافية الكبرى، وجهة تاريخية مفصلية ونوعية، بالنسبة لكل نهضة وتطور حضاري. لكنها ليست بالعمل الارتجالي، بل يلزمها التبلور وفق مشروع

مجتمعي، متعدد الروافد، متكامل الجوانب، يستحيل فصل مقتضياته اللوجيستيكية عن آفاقه المستقبلية. لذلك، فالترجمة ورش جماعي، اجتماعي، يحتاج إلى مؤسسات وبرامج ومخططات وأهداف ورؤى، ضمن محددات التصور المجتمعي في كلِّيته: ماذا نريد من هذا العالم؟ ولما نحن هنا؟ ترسي الترجمة حقا، لبنات مجتمع المعرفة، وتعمم فعلا قيم الحرية والتسامح والاختلاف والتعدد، التي تظل بالنسبة لمنطقتنا العربية مجرد شعارات أثيرية جوفاء للاستهلاك المناسباتي السياسوي، بحسب مقتضيات الظرفية، دون أن تترسخ وتتجذر ضمن تربة دهاليز فضاءاتنا المظلمة إقصاء، وواحدية ولا تسامحا ولا اختلافا، ولم أقل مؤسساتنا، لأن مجتمعاتنا مسيرة فقط بوازع المزاجية الشخصية والأهواء الطائشة ولا علاقة لها بآليات المؤسسة العقلانية، كما الحال في الغرب. الدليل والنتيجة، تفاقم للأزمات على جميع المستويات، وفي طليعتها ضياع الإنسان.

**الترجمة الأدبية تختلف حتمًا عن الترجمة في مجال أخر كونها تسعى لتحقيق هدف جمالي بالإضافة للهدف المعرفي.. لكن إلى أي مدى يجب أن يكون المترجم أمينًا على النص الذي يترجمه؟ وكيف تنظر إلى الحديث عن «خيانة المترجم للنص» بالنسبة لواقع الترجمة.**

في حدود ما تعلمته، جراء بعض تراكمات تجربتي المتواضعة جدا، فالمطلوب من المترجم توفره على عنصري الشغف والعشق أساسا، وإلا

أتى النتاج جلمود صخر، خاليا من أبسط مظاهر الحيوية والكياسة والليونة. بكل تأكيد، يستحيل النجاح في إعادة كتابة نص ما، بحسب المعنى المفترض حضوره الأصلي في ذهن صاحبه. طبعا، وحتى نفهم حدود ومستويات «الخيانة» كما تصور قصدياته، لأول مرة المثل الايطالي (Tradutore traditor)، فيلزم بهذا الخصوص، بحسب اعتقادي، استحضار شروط إيتيقية وجمالية، تتعلق بالمترجِم والمترجَم، والتي يستحيل كبحها ضمن بوتقة الإجابة الواحدة، المطلقة:

- بداهة التفكير في تعدد القراءات والتأويلات النصية، حتى مع القراءة الواحدة، في ظل اللغة الواحدة نفسها، بل وفي ظل سلطة الكاتب عينه، بات واضحا منذ تبلور أدبيات ما بعد البنيوية، أي أن كل قراءة تبقى بعد كل شيء، محوا.
- ينبغي لطبيعة العلاقة بين المترجِم والمترجَم، التعالي وجوبا حيال مختلف المحددات المادية المباشرة، ذات النزوع النفعي والمصلحي المباشر، كي يتخلص من الاستسهال والسطحية والتبخيس وعدم الاكتراث وسوء التقدير. ثم يتسم عكس ذلك، ب: الجدية والعمق والتثمين والحفاوة والتهيب. حينذاك، نكتشف نحن القراء، كنه أسرار تلك الجلسات العاشقة بين المترجِم والمترجَم، والتي تمنحنا مولودا سعيدا بولادته، مبتهجا بمصيره.

**إذاً.. كيف تؤدي دورك كمترجم ضمن معايير الدقة والأمانة والموضوعية وغيرها من الشروط الإبداعية التي تتطلبها هذه العملية؟**

أردد دائما، مع محمود درويش: «لا شيء يعجبني»، حينما أجد حياتي متحولة نحو خطوط التماس مع الآخر، طبعا بحكم إكراهات مقتضيات سياقات الواقع، لا سيما جانبه السخيف والغبي والضحل في كثير من الأحيان، مما يشعرني في هذا المقام، باغتيال حريتي، بشكل من الأشكال، على العكس من ذلك، أحس تماما بأن كل شيء يعجبني، بخصوص ما أقرأه وأكتبه وأترجمه. لا أنتمي سوى لنفسي في هذا المضمار، ولا أكتب تحت ضغط استحضار منظومة ولاءات أو أخويات أو صداقات أو تزلفا أو تملقا أو ترقبا لقروش أو دعوات إلى لقاءات أو استدرارا لمدائح مجانية. هاجسي الأوحد، أن أظل أمينا لما أفعله، شفافا مع نفسي وقناعاتي والقارئ المفترض.

**كتابك تأملات في بعض يوميات التردي العربي وتحديات التغيير يبحث في قضايا الراهن.. ولذلك أود أن أعرف رأيك كمثقف أكاديمي: كيف تفسر الانخراط العربي في استيراد الأدوات الحديثة مقابل عجزه عن التحول في المجالات الفكرية؟**

بكل بساطة، لأن الإطار العام الذي يلف مجتمعاتنا وسياقاتها المؤثرة، غير حداثي جوهريا، وبعيد تمام البعد عن وجهة التحديث الأصيلة والحقيقية، التي تغير الإنسان وترتقي به صوب مجتمع المواطنة والكرامة

والعدل والانتماء والإبداع والاستحقاق والخلق والتنافس والتباري والعطاء. تفتقد البنيات الثاوية لمجتمعاتنا، إلى الأسس والمرتكزات الصلبة للحداثة، وهي: العلمانية، العلم، العقل والحرية. منظوماتنا الاجتماعية، تتباهى كل آن بالهرولة المجنونة، نحو تبني آخر صيحات الحداثة في جانبها الاستهلاكي الشكلي جدا، من الأبراج العائمة إلى السيارات الرياضية، فمسابقات الجمال وعروض الأزياء للشباب والشابات، ثم الهواتف والحواسب والموضة وأسلوب الكلام والتحدث والتصرف والعيش إلخ. مساحيق خارجية تافهة للتمويه والتضليل، لكن أين البناء الحديث للدولة وأجهزتها السياسية والقانونية والاجتماعية والفكرية والتربوية والرياضية؟ إذن الانخراط الوحيد المطلوب، وهو السؤال الذي أجاب عنه كل مفكري المشروع النهضوي، يتمثل فقط في: إحداث ثورات نوعية، سياسيا وثقافيا ودينيا، غير ذلك فإننا نراكم دائما التخلف وبامتياز.

**اللافت للانتباه أن بعض كتبك تؤرخ وتوثق لأفكار الكثير من قادة الفكر والسياسية والإبداع.. ما المعايير التي اعتمدت عليها لاختيار الشخصيات؟ وعلى ماذا اعتمدت لجمع المعلومات التوثيقية؟**

أستمتع كثيرا بإعادة الحديث عن عظماء السياسة والفكر والثوار الذين صنعوا التاريخ، واعتبرتهم على الدوام، منذ طفولتي، أساتذتي ونماذجي ومرجعياتي وسندي أيضا في فهم الوجود ومجابهة أسئلة الحياة الحقيقية.

إنهم أصدقائي الحقيقيين والفعليين والجديرين بالاهتمام والاقتداء والتمثل والفهم والتكريس. وحدهم هؤلاء البشر النوعيين، أضفوا بصنيعهم معنى على الحياة، وأمدوا الإنسانية بمبررات معقولة للإبداع والعطاء والخلق والمكابدة والاستمرار والانتباه المفرط الحساسية نحو كيفية الحفاظ على بصيرة النقاء الإنساني، والحيلولة دون السقوط في العمى. تبقى قراءة هؤلاء تمرينا لا بد منه، وطقسا لازما، حتى أتمسك بما تبقى لي.

**وماذا عن مشاريعك القادمة؟**

أنا بصدد ترجمة عملين عن جوليا كريستيفا وألبير كامو، أتمنى أن أنهيهما خلال أقرب الآجال ويجدا ناشرا حقيقيا، يهتم لأمرهما. ثم أعود ثانية، لموضوع باشلار.

# غاستون باشلار، الفلسفة والأدب، الجابري والقطيعة، سارتر وكامو، الهوية

حاوره: خالد بيومي

## تقديم

يتوخى الباحث سعيد بوخليط، الاشتغال تأليفا وترجمة، على رافدين، اعتبرهما، باستمرار مسارين أساسيين، بالنسبة لهواجسه المعرفية:

- شعرية غاستون باشلار، ومن خلالها المرتكزات الأساسية للنقد الأدبي الحديث.
- العلاقة بين الأدب والفلسفة.

وقد شرع فعلا، بهذا الخصوص، منذ أواخر سنوات التسعينات، في تقديم أولى بواكير تطلعاته تلك، بإصداره بداية لمقالات وإنجازه لترجمات، نشرت في ملفات مجلات أكاديمية مغربية وعربية، من صنف التي كان يشرف عليها محمد عابد الجابري أو مطاع صفدي. ثم تطور العطاء مع عناوين عشرات الكتب، صدرت تباعا.... آخرها، عن دار عالم الكتب الحديث الأردنية، تحت عنوان: «آفاق إنسانية لا متناهية، حوارات ومناظرات»

**استندت جل اشتغالاتك النقدية وترجماتك على تراث الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار...لماذا باشلار تحديدا؟**

ببساطة، حقق باشلار، انطلاقة ثورية لمختلف الدراسات الشعرية الحديثة، وقد انتقل بدراسة النص الجمالي من المجال الخارجي، القائم على الدراسات السيرية / البيوغرافية، وكذا المحددات الاجتماعية/ العرقية، كما تجلى الأمر مع أنصار النزعة العلمية الكلاسيكية خلال القرن التاسع عشر) مدام دي ستايل/ سانت بوف/ هيبوليت تين. (أود القول، أن باشلار أعاد النص الأدبي إلى مجاله الخاص، وركز أولا وأخيرا، على المكونات الجوانية، الداخلية للنص الأدبي، بدل البرانية. هكذا، تشعبت بفضل الإلهام الباشلاري، امتدادات الموضوعاتية التيمية والبنيوية والتحليل الظاهراتي وحداثة الصورة الشعرية وديناميتها.... إذن، من الضروري العودة إلى كتابات باشلار الجمالية، قصد فهم منبع مختلف سياقات الدرس النقدي، على امتداد القرن العشرين.

**شهد باشلار العديد من الفتوحات العلمية مثل النظرية النسبية ونظرية الكوانتوم وغيرها، لكنه عاتب على الفلسفة سكونها وعدم قدرتها على مواكبة النتاج العلمي وقفزاته الهائلة. هل تكمن برأيك مهمة الفلسفة حاليا في الإنصات للأسئلة التي يطرحها العلم أم لا زال بوسعها بناء الأنساق المجردة والمغلقة التي تبحث في تطابق الفكر مع تصوراته المبدئية؟**

نعم، آخذ باشلار على الفلسفة، انغلاقها المذهبي وعجزها عن التفاعل مع التطورات التي يحققها العلم، ومن ثمة تأسيسه لفلسفة ليّنة جدا ومنفتحة. فيما يتعلق بحاضر الفلسفة، ثم مدى جدتها من عدمه، تختلف المفاهيم والتحديدات، بحسب زوايا وجهات النظر. فريق يقول، بأن آخر الفلاسفة بالمعنى الإغريقي المهيب للتعريف، انتهى مع نسق هيدغر، ومختلف الأطروحات التي جاءت بعده، تظل فقط اشتغالا هامشيا على ضوء المفاهيم التي أرساها. فريق ثان، اتسم بتسامح أكبر، سيمنح لقب فيلسوف، لكل مشتغل بالمجال تدريسا وتأليفا. ثم فريق أخير، هو المتسيد حاليا، يجزم بأن الزمن الحالي يكفي التقنية ولا مكان فيه أبدا للفلسفة. فيما يخصني، لا يمكن للتقنية والعالَم، تحمّل أنفسهما، قبل أن يتحمّلهما البشر، دون مسوغ فلسفي عميق، ورؤيا استشرافية فلسفيا، توحد بين المنظورات الثلاث: الوجودية، المعرفية، القيمية.

**تبنى باشلار مذهب القطيعة الإبستمولوجية في فكره العلمي وقد وظف محمد عابد الجابري هذا المذهب في نقده للعقل العربي.. فهل معنى ذلك أن باشلار يفتقد أي ترابط وتواصل بين القديم والجديد؟**

الفقيد الجابري، وهو بصدد خطوات التأسيس لمشرعه الفكري الكبير، استلهمت قراءاته الموغلة في التراث الغربي والعربي، مجموعة من النظريات والرؤى المنهجية. بين طيات مختلف ذلك، تظل اجتهادات المدرسة الفرنسية، أكثرها حضورا، من خلال بعض أهم أعلامها: لالاند،

أرنست رينان، باشلار، لوي ألتوسير، فوكو، ديريدا، ريجيس دوبري.... بهذا الصدد، ربما اعتُبر الجابري، رائدا في انتقال مفاهيم باشلار إلى الساحة الثقافية العربية، لا سيما تصوراته عن جدليات العوائق الإبستمولوجية وكذا القطيعة. مفهوم الأخير، اشتغل مركزيا، لدى الجابري، في كتابه: نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي (1980)، الذي حدد بين صفحاته، تفاصيل ضرورة تحقيق قطيعة معرفية مع نماذج معينة من التراث العربي، النزوع الغنوصي أو اللاعقلاني، ومع القراءة السلفية للتراث، لأنها قراءة ماضوية لا تاريخية، وبين مفكر وآخر أساسا ابن رشد وابن طفيل وابن حزم الظاهري في الغرب الإسلامي، مقابل الفلسفة المشرقية، كما جسَّدها ابن سينا أو التصوف السني مع الغزالي، ثم القطيعة بين حقل معرفي وآخر، مدى فاعلية السعي إلى التوفيق بين العقل والنقل، دمج الدين مع الفلسفة.... عموما، مفهوم القطيعة عند الجابري، ليس انفصالا تاما ونهائيا عن التراث، بل فقط عن تصورات بعينها، تعيق القراءات الموضوعية. أساسا، أرسى باشلار حيثيات مفهوم القطيعة، قياسا إلى تاريخ العلم وما يجري داخل المختبرات العلمية، معتبرا بأن تاريخ العلم، يبقى أساسا تاريخا للأخطاء والتجاوز، بالتالي، تنحت كل نظرية، نظامها المعرفي الخاص بها، فلم يكن غاليلي استمرار لأرسطو، أو فيزياء آينشتاين مجرد تطوير لنيوتن. عموما، أكد باشلار على ضرورة تحقيق قطيعة بين المعرفة العلمية

والعامة، لأن الثانية تشكل عقبة إبستمولوجية للأولى، ثم قطيعة بين النظريات العلمية الجديدة والقديمة.

**لباشلار عبارة شهيرة تقول: «تاريخ العلم هو أخطاء العلم»، وغاليلي هو أول من قطع الصلة بالفكر العلمي القديم، متخليا عن أساليبه وأسسه، مبتدئا ثورة جديدة في تاريخ العلم، فهل غاليلي ليس امتدادا لمن سبقه؟**

يكفي، تأكيد آينشتاين بأن غاليلي أب العلم الحديث، ثم عضد تصوره عالِم ثان فذ، لا يقل عنه عبقرية، هو ستيفن هوكينغ، الذي ربط بدوره ميلاد العلم الحديث، بإنجازات غاليلي. وقد دفع حياته ثمنا لنبوغه، لأن أفكاره الانقلابية جذريا وقتها لا سيما دفاعه عن نظرية كوبرنيك التي قطعت تماما مع النظام الفلكي لبطليموس، أثارت حفيظة الكنيسة ورجال الدين، فاتهم بالهرطقة والدعوة إلى محاكمته.

**قامت فلسفة باشلار على ردم الهوة بين العلم والفلسفة، فهل حققت هذا الهدف؟**

اتسم فكر باشلار، بالانفتاح والموسوعية والجدل والانتقال المنساب، عبر الحقول المعرفية المختلفة. لذلك، لم يكن مثيرا للانذهال، ضمن سياقه هذا، تأسيسه لمشروع فكري ضخم، يجمع بين رافدين كبيرين، اعتبرا دائما قبل باشلار، متنافرين، أقصد: العلم والأدب. في هذا الإطار، تشكلت الملامح النوعية، للإبستمولوجيا الباشلارية،

المغايرة أيضا لكل ما سبق من فلسفات، وقد اعتبرها باشلار، بأنها قد تخلفت عن التطورات المفهومية والمنهجية التي تحققت مع الفيزياء والرياضيات خلال بداية القرن العشرين. الوضع الذي اقتضى بناء فلسفة أخرى، غير تلك الصروح التقليدية، كي تنصت بانتباه ويقظة لمستجدات حقل العلم. هكذا، حقق باشلار قطيعة تاريخية، قياسا إلى الجمود المذهبي والعقائدي المميز للأحكام الفلسفية الجاهزة، ثم أوجد في المقابل، فلسفة جديدة للعلوم، تتوخى مرافقة ومصاحبة عمل العلماء داخل مختبراتهم، قصد إثراء العلم بالمفاهيم الإجرائية الناجعة والقادرة على تقديم ملاءمة فعالة للحقول الدلالية الجديدة. من ثمة، فتحت إبستمولوجيا باشلار، حوارات تناظرية مستمرة، لا تنتهي، بين العلم/ الفلسفة، الخطأ/ الحقيقة، الحقيقة/ اللاحقيقة، العقل/ الواقع، النظرية/ التجربة. فلسفة نفي وتجاوز، ترفض دوغماطيقية الفلسفة القديمة. وتؤمن مطلقا بالانفتاح والجدل، بهدف إعادة بعث الفلسفة ثانية، عبر تماهيها التأملي، النقدي طبعا، مع تصورات العلوم.

**لديك دراسات عن العلاقة بين الفلسفة والأدب.. كيف ترى عمق القرابة بينهما؟**

شغلني دائما هذا الهاجس، وأتطلع بكل كياني، نحو الاشتغال في إطار حدود التقاطع المتوقدة بين الفلسفة والأدب. آمنت منذ زمن بعيد، بأن الولوج إلى مضمار الاشتغال الأدبي وتملّك القدرة على استبطان كنه

النصوص، يقتضيان لا محالة أرضية فلسفية رصينة. تلهمني مقومات النفاذ نحو العمق إلى أبعد مدى، فيما يتعلق بالفهم والتأويل، وتطوير تأويلاتي، ثم الحلم قبلهما. أن تقرأ، تبدع، تحاور، تدافع عن رؤيتك للعالم والناس والأشياء، ثم تدرك بكيفية متوازنة إلى حد ما، مستويات الذاتي والموضوعي! متى ينتهي الحلم كي يبدأ الواقع؟ نصيب حقيقتك الشخصية من الصواب؟ الجسد؟ الموت؟ الزمان؟ مرتكزات أنطولوجية عامة، وضمنها وجودي، يستحيل النهوض بثقلها دون روح السؤال الفلسفي. روح تلتمس، مثل باقي الأرواح، جسدا تتجلى عبره هويتنا الباطنية. هنا، يحضر الأدب. إذن، الفلسفة روح الأدب، والأخير لن يكون سوى جسدا لها.

**مزج سارتر وألبير كامو، الفلسفة بالأدب في أعمالهما الأدبية. هل يمكن اعتبارها نصوصا فلسفية كتبت بلغة أدبية معبرة؟**

انتمى سارتر وألبير كامو، إلى حقبة تاريخية متطلعة بتميز على جميع المستويات: قوى التحرر، المد الثوري، زعماء سياسيين وقادة تحرر كبار، حركات فلسفية وأدبية وفنية وموسيقية. إنها فترة القناعات والمبادئ والالتزام والجماهير والمثقف العضوي ومثقف تجمهر المقاهي. المثقف المؤمن صدقا بمشروع مجتمعي وحضاري كبير، يقتضي منه السعي إلى تكريسه ضمن صفوف الطبقات الشعبية، أن يناضل على امتداد اليوم كي يصير فكره التقدمي قوة مادية ملموس للتغيير. لذلك تراه

دؤوبا في الجامعة والحزب والنقابة والشارع والتجمعات الخطابية التعبوية. يكتب في الجريدة ويؤلف كتبا تنظِّر للتاريخ والمسرح والشعر والرواية ويترجم المفاهيم الحديثة ويساجل أينما حل وارتحل كي يبثّ لبنات مشروعه. وضع انطبقت حيثياته على مسار الصديقين/ العدوين، سارتر وكامو. رائدان عظيمان من رواد الثقافة الإنسانية، على امتداد كل العصور، أحدثا جدلا لم ينته حتى الراهن، حول طبيعة علاقتهما الشخصية، ثم نوعية التصنيف الجدير بكل واحد منهما: فلسفة، رواية، نقد أدبي، تحليل نفسي، مسرح، صحافة، نضال سياسي. جدل يقف حقيقة هنا، ولن يشكك أبدا في مدى جدارتهما الإبداعية، وتأثيرهما القوي نوعيا، فكريا وسلوكيا ومعنويا، على امتداد كل أصقاع العالم. هكذا، وبغض النظر عن لقب فيلسوف من عدمه، الذي يثير حفيظة الجامعيين والأكاديميين المحافظين، فقد أبدع سارتر وكامو، بغزارة منقطعة النظير لا سيما حين الحديث عن كامو، قياسا إلى حياته القصيرة، نصوصا أدبية غيرت تفكير البشرية، انطلاقا من روح فلسفية:العبث. صار موقعهما مرجعيا، سواء لدى أهل الأدب والفلسفة معا. عناوين تظل تاريخية، مثل: الوجود والعدم، أسطورة سيزيف، الإنسان المتمرد، كاليغولا، الذباب، الغريب، الطاعون...، ضمن أخرى عديدة، توضح بجلاء، تداخلا غير قابل للحسم بين بداية الفلسفة وانتهاء الأدب، أو العكس.

**لديك كتاب بعنوان: «يوميات التردي العربي وتحديات التعبير». هل نحن فعلا كشعوب عربية ما زلنا نملك هويتنا الثقافية حتى نتحدث عن تهديدات لها من قبل هويات ثقافية أخرى؟**

شخصيا، لم أستوعب في يوم من الأيام، الهوية باعتبارها منظومة ثقافية أحادية المنحى، أو مفهوما ميتافيزيقيا مطلقا، مكتمل البناء والتأسيس والتشكل والتبلور والتجلي. الهوية سيرورة لا نهائية، دائمة التحول، بالتالي، العمل على إغنائها وإثرائها ثم تعضدها وتمددها وتوسعها من خلال جدليات متجددة بين القائم والممكن. إنها بمثابة تعددية الواحد، والواحد المتعدد، والمفرد في صيغة الجمع، والجمع في صيغة مفرد. لذلك، سيكون عائقا معرفيا، الانتهاء عند هوية ثقافية بلغة الطمأنينة والمماهاة السلبية. هويتنا الثقافية، أو هوياتنا في الحقيقة، مثلما يفترض على أرض الواقع، تتآلف وتختلف، تتجاذب وتتباعد، تتماهى وتتناقض، وهكذا دواليك. حينما، يصير الأمر على هذا النحو، الجدير حقا بانتعاش الهويات، فتكتسب بالضرورة مناعة بيولوجية داخلية، تجعلها قادرة على المجابهة الاحترازية الدائمة، ليس بالمفهوم العدواني الغبي، الذي يقود حتما إلى حروب بدائية استئصالية، بل تحتاج حيوات الهويات، ومن خلالها جدة كل هوية، إلى تناظر ضمني ناعم، يستند على المقومات الإيتيقية لـ: الاعتراف، الاحترام، التفاعل الإيجابي. على ضوء ذلك، أرفض كل نزوع قومي اختزالي، أحادي. يلزم هذه «الهوية العربية»، أن

تصبح باستمرار، متطلعة صوب المحتمل والممكن، تلاحق حرقة السؤال، متعددة، منفتحة. حينئذ لن تخشى قط شيئا، وتتخلص من عقدة المؤامرة، ثم تمتلك من تلقاء ذاتها آليات التمثل والاستبعاد.

**ما الدور الذي ينتظرنا نحن العرب؟**

أولا، العالم لا ينتظر أحدا. طبعا، إن تصورنا الهوية باعتبارها قطعا مع الجمود والتقوقع في الماضي، وصارت منظومة موجهة للمستقبل، ارتباطا بسياقات مجتمع مدني، عقلاني يحترم فعليا حقوق الإنسان والحريات العامة والفردية والاختيارات الشخصية. فقط، بناء على شرط حضاري سوسيو-ثقافي من هذا القبيل، يمكن الإيمان بجدوى العثور على جواب لسؤال الانتظار، في ظل أوضاع الجنون المزرية جدا التي تبتلعنا، المحيطة بنا من كل جانب. مشروعية حديث العرب، الآن وهنا، عن احتمال وجود بصيص من أمل الانتظار لدى العرب، تقتضي حاليا، قطائع بنيوية كبرى ونوعية فكريا، سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا، تمدهم وجوديا بأسباب الولادة والحياة والتموقع ضمن سياق العالم المعاصر. لحظتها، سيكون عبثا، الحديث أصلا عن انتظار بكيفية من الكيفيات. لأن، الأمة المنخرطة كلية، في مشروع بناء مستمر، لا تنتظر، ولا مجال لها كي تفرز حيزا للانتظار، ما دامت مندمجة في ديمومة الزمان الكوني. العرب ينتظرهم كل شيء، من مفهوم الإنسان إلى أبسط مقومات الدولة الحديثة، ثم الديمقراطية والعلم والحرية والانتماء والاعتراف، إلخ.

تأكيدا، انطلاقا من منظومة المعطيات الحالية، فإننا بصدد انتظار غودو، مثلما حدس الوضع آنفا، صامويل بيكيت. مع ذلك، أقول مع سعد الله ونوس: «نحن محكومون بالأمل».

**ما سؤال النقد اليوم؟**

ربما تقصد النقد عندنا. بالتأكيد، يحتاج مثل باقي جل مكونات سؤال المعرفة عموما، إلى مجتمع لا يؤمن سوى بسلط العلم والعقل والحرية. سؤال النقد، هو ذاته، مشروع تكريس المنظومة المجتمعية التي تقدس الإبداع والخلق، وتحتفي كل يوم بقيم الحوار والتنافس والاستخفاف والفعل الحر البناء. إذن، هل نتموضع وفق مسار هذا الأفق التاريخي؟ بحسب هذا المؤشر، وعند درجة تالية، يقتضي ازدهار النقد، تقوية وتدعيم درس العلوم الإنسانية، بمختلف حقولها وتخصصاتها ومناهجها وآلياتها البحثية والتفكيرية. أتساءل مرة أخرى، هل توجهات مجتمعاتنا، تصب في بوتقة روافد هذا المنحى؟

# غاستون باشلار، الدرس النقدي، الترجمة، الفلسفة

## حاوره: إسراء أبو عيشة

**من هو سعيد بوخليط؟**

شخص عاشق للمعرفة، أساسا؛ بدءا من أولى سنوات المرهقة. منذئذ، وحتى اللحظة الحالية، تطلعت باستمرار، نحو التحلي بصفة الجدية والعمل الدؤوب المسؤول؛ ربما تمتعت يوما، حقا، بصفة روح الباحث الشغوف والشفاف، القادر حقا؛ دون أنانية ولا رياء، على الإدلاء بدلوه والتقاسم، وعبر مختلف ذلك، المساهمة قدر ما أستطيعه بهذا الخصوص، في تغيير مجرى تاريخنا، ضدا على كل رياح الشر العاتية؛ نحو الأفضل. تطلع سيزيفي، لكنه يبقى أملا، ومن حقي الحلم، بل أعتبر ذلك قدري، ورسالتي الشخصية الأولى في هذه الحياة. أنحدر من مدينة مراكش؛ لكني أنتمي بالأخص إلى جيل، التقط آخر همسات سياق السبعينات، مغربيا وعربيا، بكل شعاراته وأدبياته وممارساته، التي ارتقت نحو تحرير الإنسان، جسدا وروحا، وبناء الدولة الوطنية في إطار قومي؛ يمتد من المغرب غاية فلسطين والشام. إذن، صادفت أولى مسارات تشكل وعيي الذاتي والموضوعي، منظومة تضطلع بحكايات وهواجس من هذا القبيل. المفارقة، أنه بقدر ما كان الوضع المجتمعي، محكوما

بمرجعية توتاليتارية، شديدة البأس في شقها السياسي، مجال الصراع الملموس والظاهر، بين المستغِلين والمستغَلين، سينشغل الأمل فقط بقضية أن يظل أملا؛ وحضر المعنى بقوة الممكن. أذكر جيدا، بداية المسار، مع أولى المقالات التي أصدرتها بتوقيع مشترك مع أحد أصدقاء الفترة؛ تقريبا سنة 1994، تحت يافطة «حلقة الشعراء المفقودين»، الاسم الذي اخترناه مرجعا وسندا لأحلامنا (تيمنا بروح الفيلم الذي يحمل نفس العنوان صدر سنة1989 لصاحبه بيترويز، بطولة روبن ويليامز) في شكل بيانات «طليعية» انصبت تحليلاتها على الذات والوجود والموت والشعر... ثم تواصل السعي، بالرهان على الصعب فالأصعب، مثل القابض على الجمر، لأن جل حيثيات الظروف كانت معاكسة وبضراوة شديدة.

**ما سبب تأثرك بالفيلسوف غاستون باشلار؟**

رغم أني امتثلت لمختلف أسلاك التعليم النظامي، من الابتدائي حتى الجامعي، فقد اعتبرت نفسي دائما عصاميا؛ تسكنني باستمرار عقدة- قتل الشيخ أو المعلم بلغة الآسيويين- أدين بالولاء أولا وأخيرا، إلى مكابدة التثقيف الذاتي، والاستفادة من فرصة استعارة الكتب بفضل الخدمة التي توفرها بطاقة الانخراط، التي أتاحتها لسنوات بمدينة مراكش، المؤسستين الثقافيتين المعروفتين وقتها ب «دار الطالب» وكذا «الخزانة البلدية»، بحيث تأخذ إلى منزلك كتابين لمدة خمسة عشر يوما. استمر

الأمر؛ من نهاية الثمانينات غاية أواسط التسعينات. لحظتها، غيرت الوجهة نحو خزانتي كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة القاضي عياض، التي كانت حقا غنية جدا بعناوينها الثرية في مختلف الحقول المعرفية، ثم المركز الثقافي الفرنسي. لماذا بدأت بهذه الإشارات، قبل استحضار لب الجواب عن سؤالك؟ للتأكيد، على ثلاث معطيات أساسية تهم شخصيتي ونزعات أهوائي:

1. لم أكن في أي لحظة من اللحظات مرتاحا «مؤسساتيا»، ضمن الجماعة، فلا أجد سكينة مع نفسي، سوى خار الإطارات المنغلقة، وغاستون باشلار جسَّد المعطى بامتياز.
2. استهوتني على طريقة المتصوفة فكرة المعلم/ المربي، أو الحضور/ الغياب لفكرة الأب، لا أدري حقيقة، فعثرت عند باشلار على رحابة الإحساس.
3. بحثت دائما عن بوَّابة تسمح بتلاقي المعارف وتصالح المجالات، من الرياضيات إلى الشعر، ومن الخيمياء غاية الرواية، ومشروع باشلار العلمي/ الأدبي فسح المجال واسعا أمام هذا الأمر.

**ما الذي أضافه غاستون باشلار لك ولمفهومك النقدي، فيما يتعلق بإطار الدروس أو الدرس النقدي المختلف؟**

كان الدرس الجامعي، أتكلم أساسا عن الكلية التي درست بها، ضعيفا جدا؛ يستغرقه الاستهلاك والنمطية. تسمع نظريا، عن عناوين لتخصصات براقة: اللسانيات، النقد العربي القديم، النقد الأدبي الحديث، البلاغة وتكامل المعارف...، لكنك عمليا حين ولوجك المدرجات أو القاعات، لا تصادف شيئا يذكر، إلا فيما نذر. جل هؤلاء المدرسين، سقطوا في حضن البيروقراطية الصماء، نتيجة انتفاء اشتغالهم على مشاريع علمية حقيقية، والاكتفاء فقط بتأجيج حروب دونكيشطوتية فارغة، لغايات مرضية. بالتالي، لم أتخلص حقيقة من ثقل وسأم ذلك، سوى في مرحلة تسجيل موضوع الدكتوراه. هنا، بدأت أبحث بلهفة عن مجال للبحث؛ تميزه أيضا أشياء ثلاث:

1. يكون موضوعا غير مطروق سابقا، يمنحني الإحساس بـ«الريادة»، ويهيئ لي أرضية لتبني مشروع معرفي ينتشلني من النمطية التي اكتشفتها داخل فضاء الكلية، مع أني انتميت طالبا إلى الجامعة المغربية، خلال فترة لا زالت نسبيا، أقول نسبيا، تحظى بنوع من الرمزية والتقدير، قبل غرقنا تماما في دوامة الاستهلاك البليد التنميطي، الوجه المأزوم للعولمة، وتأتي على ما تبقى جميلا فينا، جملة وتفصيلا، مساوئ الليبرالية المتوحشة. هكذا، سأتبين مع كتابات باشلار الشعرية، أفقا حرا وخصبا.

2. المسألة الثانية، التي ارتأيتها بخصوص أطروحة الدكتوراه، مع باشلار، البقاء ضمن أرضية تسمح لي بالتواصل المستمر مع الفلسفة والأدب. بمعنى أقرأ الفلسفة، وأصيغ الأدب، أفكر وأحلم؛ بكيفية لينة جدا، لأن درس باشلار، لا يتكلم سوى بلغة من هذا القبيل؛ ولا يعرف قط سبيلا نحو الإطارات المذهبية المنغلقة، والمناهج الديداكتيكية العقيمة، القاتلة لروح الإبداع والمبدع.
3. أخيرا، التمرس على ألفبائيات أوراش أخرى، في طليعة ذلك الترجمة إلى العربية، لنصوص أسست حقا الفكر البشري، والحضارة الإنسانية. طبعا، أحاول ولا أتوقف عن ترويض ذاتي؛ نحو هذا القصد.

**ما الرسالة التي تحاول إيصالها من خلال كتاباتك وأعمالك؟**

أن يكون المثقف، إنسانا أولا وأخيرا، وفق المعنى الأنطولوجي للكلمة؛ هي المعركة الحاسمة وأمّ المعارك، أما المعارف فهي مطروحة على الطريق، يعرفها الأعجمي والعربي، لا سيما في زمننا الحالي، عصر الثورة السبيرنتيكية والرقمية. لا يمكن للشخص، في رأيي التباهي؛ سوى بمستويات قربه من السمو الإنساني. الكتابة، مرآة رسالة وغاية. مكابدة ذاتية. إنها شغف يومي، وشعيرة روحية لا غنى عنها، كل آن، بالنسبة لمن يرنو نحو استخلاص المعنى الجوهري لمفهوم الكتابة. بالتالي، لا أنجز

سوى ما يعجبني، ولا أتفاعل سوى مع الأشياء التي تجذبني، دون كذب على الذات أو تدليس أو انتهازية أو تلفيق أو تنميق أو لغرض آخر غير متعة الكتابة، والتحليق بالخيال، صحبة الخيال، وجهة عوالم غير اليومي. كل نص كتبته أو ترجمته ثم مؤلف أصدرته، إلا وتبلور ضمن رؤى نفس التوجه الذاتي، مدافعا ومعضدا، فلا أكتب تحت الطلب أو مداهنة أو تزلفا أو استدرارا لمنفعة ما. الدليل، أن جل كتاباتي انصبت على الأموات.

**ما أهمية ارتباط الأدب بالفلسفة؟**

يصعب على المشتغل بالأدب، تقديم أعمال متينة وعميقة، خالدة في الزمان، محلقة فوق كل الأمكنة؛ دون مرجعية فلسفية تحدد لبنات مشروعه وتخصِّب الأسئلة الجديرة بالمتابعة والاهتمام، حيث التأسيس للذات والآخر والموت. سينتقل بالضرورة من تمثل النص الفلسفي، والإحاطة بكيفية اشتغال بنية التفكير لدى الفلاسفة، إلى كتابة فلسفية للأدب. أعظم الفلاسفة، مزجوا بين المفهوم الفلسفي والمجاز الأدبي؛ فأبانوا عن حسهم الشعري عبر التنظير الفلسفي.

**هل هناك مواضيع معينة تحب القيام بترجمتها؟ وهل يوجد لديك تخوف بأن يقوم شخص بترجمة كتبك؟**

نعم، منذ أن ترجمت إلى العربية رواية صغيرة (لم تصدر بعد) لصاحبها جوزيف كيسيل، الكاتب العالمي الشهير، توثق ليوميات رحلة قضاها في سوريا سنوات العشرينات، وكذا رسائل حميمة بعث بها

مجموعة من الأدباء الغربيين إلى أمهاتهم (شارل بودلير/ غوستاف فلوبير/ هنري جيمس/ أندريه جيد/ مارسيل بروست/ جان كوكتو/ ويليام فولكنر/ أرنست همنغواي/ سانت إيكزوبيري) الذي صدر في مصر عن دار مها للنشر والترجمة، أصبحت أكثر انجذابا لهذا النوع من الكتابات الشخصية: مذكرات، يوميات، رسائل، مسودات غير معروفة، أشياء من هذا القبيل، وقد راكمت جانبا في خزانتي، عناوين تصب عند روافد هذا الجنس، في أفق ترجمتها تباعا. أما بخصوص الشق الثاني من تساؤلك، فلم أنجز ما يستحق الترجمة، وتطلعاتي النوعية بهذا الصدد، لم تتحقق بعد، لعل أقربها إلى قلبي، تلك الصورة التي تراودني باستمرار، بخصوص عمل موسوعي ضخم يبحث تفصيلا، في تاريخ علاقة باشلار مع تيارات ورموز النقد الأدبي الحديث والمعاصر.

**ما معاييرك في اختيار الترجمات؟**

طبعا، تهمني نصوص باشلار في المقام الأول؛ وكل ما يتعلق بها، أو يتمحور حول بعض قضاياها. ثم الحوارات وأدب الرسائل. لذلك، يلاحظ من الوهلة الأولى أن أغلب ترجماتي، اتخذت أساسا طريق هذه الوجهة أكثر من أي منحى ثان. عموما، ومثلما أوضحت سابقا، يهمني الافتتان، لأنها سمة تمثل حافزا مهمّا نحو التحاور والتفاعل والتحاور، كي تعيد كتابة النص ثانية بروح إبداعية خلاقة. تتأتى جل سلبيات الترجمة، واختلالاتها المعرفية والمنهجية، من انتفاء جانب الشغف.

**بنظرك هل مجتمعاتنا العربية تفتقد للمرتكزات الأساسية للحداثة؟**

طبعا، تمتلك مجتمعاتنا مظهريا وشكليا كل مؤشرات الحداثة: طائرات، ناطحات سحاب، أبراج، مراكز تجارية، يخوت، بنايات شاهقة، سيارات رياضية ومصفحة، فضاءات، مؤسسات، إعلام، أنساق اللباس والموضة، هواتف أذكى من الذكاء، إكسسوارات، فضائيات، سوشيال ميديا، مسابقات في الغناء والطبخ وملكات الجمال، إلخ. وتتوهم أو توهم هذه التحالفات الطبقية والأسروية التي تقود مجتمعاتنا- نحو الضحالة والانحطاط- بأنها حداثية وتعمم منطق الحداثة. في حين تؤكد تفاصيل الواقع العيني، أننا نبتعد عن عصر الحداثة بسنوات ضوئية، تلزمنا عمليا ثورات جذرية عديدة كي نلحق به، سياسيا وثقافيا وعلميا واقتصاديا ودينيا. لا زالت مجتمعاتنا قروسطية، تستيقظ وتنام على التفنن في نسج آليات العبث والتخلف، وتقدم إلى العالم أسوأ ما يمكن للبشرية إنتاجه: الاستبداد، الإرهاب، القتل، التعصب الديني والمذهبي. تحتاج الحداثة، إلى أربع مرتكزات مفصلية، لا غنى عنها:

1. بناء الدولة الوطنية الديمقراطية، المحكومة بمؤسسات قوية حديثة.
2. فصل الدين عن الدولة.
3. تكريس القيم الكونية.
4. استتباب مجتمع المعرفة.

**ثقافيا، ما المطلوب منا كعرب للانخراط في العالم؟**

نحتاج إلى ثورة ثقافية؛ تعيد بناء العقول والمرجعيات والأفكار والتصورات، وإلا فإننا بصدد الانقراض. يلفظنا العالم، رويدا رويدا، ويستمر في تهميشنا بكيفية ممنهجة، إلى أن يلقي بنا كلية خارج منطق التمدن الحديث، ويمدد على جثتنا رجليه. طبعا، الوضع في غاية التعقيد البنيوي، نتيجة تراكم وتكرس مرتكزات التأخر التاريخي، منذ قرون عديدة، ويحتاج الخلاص إلى حكمة الإغريق وبطولات الرومان، واقع يتداخل فيه كل شيء بكل شيء.

**هل ترى بأن الفلسفة قادرة على الانخراط ومجاراة التطورات العلمية والتقنية الحاصله، وصولا إلى مسوغ فلسفي أكثر عمقا يجاري ذلك؟**

هكذا تجلى تماما، مشروع باشلار، أي جعل الفلسفة منفتحة على تطورات العلم، من ثمة العثور للعلم على فلسفته الخاصة به، القادرة على مواكبة مختلف تطوراته. يستحيل، الركون إلى تلك الفلسفة بمفهومها التقليدي المذهبي، حيث الفيلسوف منعزلا بين زوايا برجه الخاص، يحدس من أعلى نقطة في الكون، أفكار الناس، بل على العكس يلزمه الانخراط عمليا في مستجدات الواقع، وتأمل منظومة الإشكالات الجديدة: البيئة، الهويات، الاستلاب، التطرف الديني والقومي وغيره، الأمراض، الأوبئة، الهجرات، السياسات العالمية، المؤسسات الدولية،

اللوبيات بشتى أنواعها... منظومة تفكير جديدة تبتغي اجتهادات فلسفية عميقة، حتى يظل الفيلسوف قريبا من الناس والعصر، ويعمم الحكمة، لكي يمكث على هذا الأرض ما يستحق الحياة.

# طبيعة الموضوعات المختارة، الأسلوب، القراء المشاريع القادمة

**حاوره: مهند الحميدي**

## تقديم

سعيد بوخليط باحث ومترجم من المغرب، حصل على شهادة الدكتوراه في تخصص النقد الأدبي الحديث من كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة القاضي مراكش/المغرب، بعد اشتغاله على أطروحة تناولت شعرية غاستون باشلار.

نشر مقالات عديدة وترجمات كثيرة في ميادين مختلفة، احتوى تفاصيل مضامينها موقعه الإلكتروني (http://saidboukhlet.com) ومؤلفات أكاديمية.

ولمزيد من تسليط الضوء على ظروف إصدار هذا العمل الأخير، وكذا بعض اهتمامات سعيد بوخليط الفكرية والمعرفية، وجهنا له الأسئلة التالية:

**ما أهم أطروحات وأفكار وقضايا كتاب: مفاهيم، رؤى، مسارات وسير؟**

صدر كتاب: «مفاهيم، رؤى، مسارات وسير.. نصوص رائدة» عن منشورات عالم الكتب الحديث الأردنية، في حدود ثلاثمائة صفحة، من القطع المتوسط. انطوى عبر معطيات عناوينه الكبرى، من خلال مقالاته التي بلغت تقريبا ستين دراسة، على تفاصيل أخرى متشعبة إلى حد ما، تناولت قضايا معرفية ومجتمعية، سواء في بعدها التاريخي أو الراهن. انطلاقا من وجهات نظر متعددة إبستمولوجيا وإيديولوجيا وسير- ذاتيا وفلسفيا وتأريخيا توثيقيا وصوفيا وسوسيولوجيا وأنثروبولوجيا ولسانيا. لذلك، مثلما يبدو للوهلة الأولى، سعيت بهذا الكتاب إلى جانب طبعا أعمال أصدرتها سابقا وأخرى آتية حتما لاحقا، نحو التوثيق بطريقتي الخاصة لمجموعة نصوص أتبيَّنها مهمة، حتى لا تضيع هكذا هباء، دون الوقوف متأملين فحواها واستلهام كنه مضامينها. بالتالي، كلما وضعت يدي، على نص من تلك العينة، التي أحبها، صدفة أو تنقيبا، إلا وفكرت منذ الوهلة الأولى في ترجمته والتعريف به عربيا، حتى تعم الفائدة وتفتح منافذ جديدة للتناظر والنقاش، ثم الأهم توسيع آليات الحوار الثقافي، وتعضيد ميكانيزمات استشراف المفاهيم، لا سيما أن الأسماء الفكرية الواردة سواء في كتابي الحالي أو عناويني السابقة، تشكل في جلّ الأحيان علامات بارزة للثقافة الإنسانية، تزخر نصوصها بحمولة معرفية ورؤيوية

موسوعية قدر عمقها. يكفي أن أستعرض بسرعة أسماء مثل: تودوروف، جوزيه ساراماغو، لوي ألتوسير، موريس بلانشو، ألبير كامو، بيير بورديو، جبران خليل جبران، إدموند هوسرل، جيل دولوز، كارلوس فوينتس، ميشيل فوكو، جاك ديريدا، حنا أرنت، إدغار موران، غاستون باشلار، باتريك موديانو، غوستاف لوكليزيو، فاطمة المرنيسي، عبد اللطيف اللعبي، الطيب صالح، فرانز كافكا، غابريل غارسيا ماركيز، رولان بارت، إدوارد سعيد، جورج بوليه، عبد الرحمن بن خلدون، أوغست كونت، القديس أوغسطين، ماركس، أفلاطون، هيدغر، كانط، سارتر، شوبنهاور، بودلير، محمد أركون، ولادة بنت المستكفي، أبو العلاء المعري، أبو نواس، النفزاوي، الجاحظ...إذن، مثلما نلاحظ، هي كوكبة أدباء وفلاسفة وشعراء وعلماء، ينحدرون من ثقافات غربية وشرقية، انكبت اهتماماتهم على جوانب عدة أرست لبنات تحديث أفكارنا الوجودية. أما بخصوص الموضوعات والتيمات، التي تطرقت إليها صفحات هذا الكتاب. فيمكن إجمالها اختصارا، كالتالي: الديمقراطية؛ المرأة؛ الفلاسفة والجنس؛ نشأة الرواية؛ الفلسفة الظاهراتية والنقد الأدبي؛ الهيمنة الذكورية؛ الموت الميتافيزيقي؛ نشأة الرواية؛ فلسفة الهنود الحمر؛ الصحافة الحرة بحسب وثيقة تاريخية وجدت في أرشيف ألبير كامو؛ مآلات الربيع العربي؛ الوطن؛ الاستعمار؛ الرسائل الغرامية العاشقة بين كامو والممثلة ماريا كازارس؛ نضال المثقف؛ التمرد على الأديان؛

تفكيك الأساطير؛ طبيعة العلاقة بين فوكو ودولوز؛ تفاصيل جنون لوي ألتوسير وقتله لزوجته؛ قراءة باشلار لقصيدة بودلير؛ مقاربة إدوارد سعيد لتصور كامو بخصوص الاستعمار الفرنسي للجزائر؛ أدبيات مغاربيات يكتبن باللغة الفرنسية...؛ إلخ.

**كيف جاءتك فكرة إنجاز هذا العمل؟**

لا شك أن تراكم متون القراءة، والملاحقة الدائمة لمستجدات الكتابات الصادرة هنا وهناك، يوفر لصاحبها مادة فكرية تتوخى ضمنيا خلق حوار، بين الكاتب وقراء مفترضين، ربما جاء المترجم كي يمثل دور الوساطة بينهما. من ثمة تأتي دقة المهمة الملقاة على عاتقه، بخصوص حرصه الشديد كي يوجه سياق التأويل وفق الإشارات الضمنية والصريحة لبنية النص التركيبية والدلالية والتداولية. هذا ما أحاوله كل يوم، وأنا أفكك على قدر المستطاع، بعضا من تضمينات تلك النصوص، غير المحتفِلة أو المهتمة، سوى بالإيحاء العميق، انطلاقا من حقول وتخصصات معرفية يمكنني التفاعل معها بشغف، في حين لا تزال أخرى مستعصية على صبري، المطلب الذي يقتضي مزيدا من الاجتهاد والاشتغال. إذن، أساس البرنامج في التوثيق، وخلق إشعاع فكري بطريقتي الخاصة. طبعا يستغرق الإنجاز كما حدث مع كتبي السابقة، سنوات من العمل والإنتاج، ثم خلال لحظة من اللحظات ودون سابق تدبير، يلح عليك المولود بقوة.

**ما المنهج المتبع لتجميع نصوص هذا العمل؟**

ليس بالضرورة، منهجا تقليديا منطويا على خلفية أكاديمية صرفة. وأقرب المناهج إلى قلبي، تكمن أولا وأخيرا في الشغف والعشق والقراءة الحالمة المتيقظة كما تصورها غاستون باشلار. فحينما أجدني، صدفة أو تدبيرا، أمام نص جميل ومعبر وموحٍ، أثار مخيلتي أولا وقبل كل شيء، أمتثل لحظتها أمامه، بكل جوارحي راغبا في الانصات لمنطوقه واستلهام إضافته، ثم توسيع دائرة هويته، بعرضه أمام القارئ العربي للتداول على نطاق واسع. في نهاية المطاف هي موضوعات تتراوح بين المعرفي والجمالي والإيتيقي والإيديولوجي والتأريخي والبيوغرافي، لذلك تختلف بالتأكيد من حيث نوعية مقارباتها وطبيعة خلفيتها النظرية، لكنها تأتلف هنا منهجيا ضمن بوثقة واحدة، تتمثل في الورشة التناظرية بين بعض من الأسماء التي أرست أو عضدت معالم التفكير الإنساني البناء.

**مَن الجمهور الذي تخاطبه؟**

ليس بالضرورة المختصين، لأنه كما تلاحظ فموضوعات الكتاب تتأرجح قوة وليونة، نفاذا وبروزا، تنظيرا وإقرارا، عسرا ويسرا، تمكُّنا وانفلاتا، تصريحا وتضمينا. لذلك يتباين حتما وقع خطاب مقالات مثل: الأسلوب و«(الحق في الموت)» بلانشو (أن تكتب عند تخوم الفراغ) بلانشو، (ملاقاة العالم) إدموند هوسرل (الرب، الهاتف المحمول وصوت ما وراء القبر) ديريدا (النزعتان الإنسانيتان) إدغار موران (تفكيك الأساطير) محمد

أركون... مقارنة مع أخرى جاءت عناوينها كالتالي: حياتي مع باشلار (عبد اللطيف اللعبي)، سأحبك حتى آخر لحظة (ألبير كامو)، الانبهار أمام الحياة (جبران خليل جبران)، فلاسفة والجنس، فلسفة الهنود الحمر، متمردون على الإسلام... أو أطروحات أقل صرامة نظرية، ذات طابع صحفي مباشر. ك: فتيات سعوديات يرتدين مثل الذكور، ماهية الصحافة الحرة (كامو)، باتريك موديانو لحظة تسلمه جائزة نوبل للأداب، الكارثة الثقافية (اللعبي)، الربيع العربي (الأمير هشام العلوي)، وداعا (غارسيا ماركيز)، إلخ. لذلك، تختلف وضعيات التلقي ومستويات التجاوب، من نص إلى ثان، عبر احتفالي المستمر بحضور قارئ، ينقب بين دفتي النصوص، فيرشح هذا النص أو ذاك. من هنا، تكمن الفائدة العملية والبيداغوجية لتجميع نصوص متباينة النزوع والمنحى، ضمن إطار مصنف واحد. خطاب في غاية الديمقراطية، يتطلع كي يرخي السمع للجميع.

**ما جديد كتابك الحالي على مستوى المضمون والأسلوب؟**

يصعب حقيقة، أن أكون لاعبا وقاضيا في نفس الوقت، لذلك تظل مسألة تحديد تقييم محايد وموضوعي لِجِدَّة عملي أو رتابته قياسا لما نشرته سابقا، متروكة أساسا للقراء. لا سيما من يتابعون بشكل من الأشكال مسارات مشروعي الاصداري، منذ أول منشوراتي، التي تعود إلى أواسط التسعينات، ثم تحققت التراكمات، التي أردتها دائما أن تكون نوعية قدر استرسالها الكمي.

# القراءة، الكتابة، الترجمة، المرجعية، المناهج الغربية، درس باشلار

حاوره: محمد الصادق

## تقديم

الباحث والمترجم المغربي سعيد بوخليط المنحدر من مدينة مراكش، توخى منذ عقدين من الزمان؛ الارتكاز على روافد معرفية مختلفة إلى حد ما، حتى يبلور قدر ما أمكنه ذلك، لبنات وممكنات مشروعه المعرفي على أرض الواقع. هكذا تجسدت البدايات، مع بيانات «حلقة الشعراء المفقودين» صحبة بعض رفاقه؛ أوائل التسعينات من القرن الماضي، ثم بلغ السعي مرحلة نضجه قياسا لمختلف تراكمات ما سبق، مع أطروحته الجامعية حول شعرية العناصر الأربعة عند غاستون باشلار (الماء، الأرض، الهواء، النار).

العمل الذي شكَّل مرتكزا مفصليا، لمختلف الكتابات التالية له، والتي خاضت في قضايا ثقافية عدة، إما ترجمة أو تأملا؛ وراهنت على تعايش أنواع الخطابات والأجناس، فهو لا يكف عن الترحال بين نصوص أدبية وفلسفية وسردية، وكتابة المقالة الصحفية المهتمة بمتابعة مجريات الشأن العام محليا وعالميا؛ فكانت باكورة ذلك مقالات شتى شديدة التنوع مبثوثة هنا وهناك ورقيا سابقا، ثم فيما بعد على امتداد صفحات شبكات

**المواقع الإلكترونية، إضافة إلى عشرات الإصدارات سواء في المغرب والجزائر ومصر ولبنان والأردن، يكشف عنها رابط مدونته: (http://saidboukhlet.com).**

**يشغلني دائما التساؤل، بخصوص المواجهات الذاتية والموضوعية، التي دفعت بك نحو الكتابة والترجمة والبحث؟**

طبعا، وراء كل منشغل بالسؤال المعرفي؛ تجارب محض ذاتية ومحفزات موضوعية نزعت به نحو هذا العالم الجميل جدا قدر وعورته، الذي اعتبرته منذ وعيي بحقيقة هذا الوجود، بأنه عالمي الأوحد والأمثل والأبقى لن أختار عنه ما حييت بديلا. طبعا ارتبطت أولى الشرارات، بفروسية سنوات المراهقة؛ وقد أطبق عليك العالم بغثة بكل وطأته، دون هوادة؛ فتحاول النجاة بجسمك الصغير والهش، وتحافظ على سلامة رأسك الآخذ في التفتق آنذاك، من صعقات المجتمعي بهوله وفظاعته، في غياب أي محاور بوسعك الاستكانة إليه. لقد مات أبي سريعا جدا في عز شبابه وهو رجل متعلم، وأنا طفل صغير، بينما أمي الشابة أيضا؛ لم تمتلك الحد الأدنى من مقومات الشخصية الإنسانية، التي يمكنها تمثل واستيعاب طبيعة شخصيتي، ليس لأنها لم تكن ذكية؛ بل على العكس ومفرطة الحساسية، لكن فقط ولأنها كباقي أغلب أمهات أطفال جيلي اللواتي ظلمهن القدر والشجر والحجر نتيجة قسوة المعطيات السوسيو-ثقافية المرتبطة ببنيات المجتمعات المحافظة. هكذا شكلت الروايات

التاريخية لجورجي زيدان، بالنسبة إلي، فيما أذكر- مع أني لا أذكر تحديدا كيف صادفتها أول مرة- أولى فخاخ استدراجي نحو ملاذات عالم القراءة، فأدمنت لحقبة طويلة مختلف روايات زيدان مثل(عذراء قريش، غادة كربلاء، الحجاج بن يوسف، فتح الأندلس، العباسة أخت الرشيد، أحداث الفتنة الكبرى..). ثم أعقبتها روايات تولستوي ودوستويفسكي، أكتفي باستحضار عناوين (الحرب والسلم، الجريمة والعقاب، الإخوة كارامازوف...). دون نسيان طبعا ألفبائيات أغلب أفراد جيلي أقصد نصوص المنفلوطي وجبران خليل جبران (النظرات، العبرات، الشاعر، الأرواح المتمردة، الأجنحة المتكسرة دمعة وابتسامة...). شرود أضحى وعيا حينما تعرفت بداية سنوات الثمانينات وأنا في السلك الإعدادي، على صديق بوهيمي، مختلف جدا؛ شغوف بالكتاب والمعرفة عموما، لقبناه آنذاك صحبة باقي زملائي بكافكا نظر لعشقه الشديد للكاتب التشيكي، وبفضله عشقت بدوري عناوين (القلعة، المسخ..) وبدأت أكتشف أسماء كتاب الغرب وأقرأ ترجماتهم إلى العربية.

أما عن تجربة الكتابة، فقد دشنتها تحديدا سنة 1993، بمقالة تحت عنوان: بيان في الذات. ضمن سلسلة شملت ست مقالات/ بيانات؛ عبرت عن وجهة نظرنا نحن الأصدقاء الأربعة، الحاملين آنذاك لهاجس ما سميناه وقتها بفلسفة جماعة حلقة الشعراء المفقودين؛ تيمنا بأطروحة الفيلم الشهير خلال الحقبة. ثم استأنست بالكتابة في الصحف، ولم يكن النشر سهلا؛ بالنسبة لشخص على شاكلتي يغني خارج السرب وبنيات

المؤسسة الحزبية المتحكمة في قنوات النشر، بل اقتضى الوضع صبرا ونفَسَا طويلا وشغفا؛ وإلا فإن مختلف التفاصيل تشتغل بغير ما تتوهمه سذاجة مخيلتك..

أما انطلاق الترجمة فقد بدأت أساسا سنة 2000، ضمنيا بإقرار رمزي من طرف المفكر محمد عابد الجابري، حينما أدرج اسمي ضمن ملف خاص حول نظرية الأدب، إلى جانب باحثين مكرسين، بفضل ترجمة لمفهوم الصورة الأدبية عند غاستون باشلار، فاكتشفت عملي صدفة ذات صباح، للمرة الثانية في مجلته «فكر ونقد» التي توقف إشعاعها الكبير، ومعها أفق مرحلة بأكملها من تاريخ المغرب، برحيل الأستاذ الجابري المباغت شهر ماي 2010 ثم تواصل التحفيز مع المفكر مطاع صفدي، من خلال مجلتيه «الفكر العربي المعاصر» و«العرب والفكر العالمي». تلك باختصار شديد، أهم التشكلات المفصلية بخصوص مسارات القراءة والكتابة والترجمة.

**تتناول كتاباتك أحداثا لها علاقة مباشرة بالواقع والتحولات السياسية والاجتماعية. هل اختيارك للموضوع ينبع من الواقع المحيط والتزامك الأخلاقي، وإيمانك بدور الكاتب في السعي إلى الكشف عن تأثيرات العولمة وامتدادات مختلف ذلك إلى الأنساق الحياتية للشعوب؟**

طبعا، لكن إطار اختياراتي؛ سبق لحظة العولمة بسنوات طويلة، بحيث تكرس وتعضد ضمن النقلات النوعية للخريطة التي أبنت عنها أعلاه؛

فيما يتعلق بالقراءة والكتابة والترجمة. ربما فاجأتنا العولمة، بأسئلة مختلفة نوعيا عن التي رسمت أفقي وأنا طفل ومراهق وشاب. منذ البداية؛ انشغلت بالإنسان وقيم الخير في مواجهة مساوئ الشر. كيف أجدني منتسبا، أحيا، مزهوا بين صفوف مجموعة بشرية، تؤمن بمرجعية مطلقة قوامها: كيف تكون إنسانا حقيقيا؟ بالتالي المبدأ نفسه يؤرقني غاية اليوم، لا يمكن بتاتا التهاون أو التراجع عن التبشير به دائما. نعم، المهم أن تكون إنسانا؛ وتشع بنور الحقيقة مكتسحا ظلمات نفسك، أولا وأخيرا، قبل التفكير بالتحول نحو البراني. أنا أكره، جملة وتفصيلا، جل مظاهر حياتنا التي تغتال جوهر الإنسان؛ أو تخطط لذلك.

**ما الرؤى الفكرية التي خلصت إليها سواء في كتابك «تأملات في بعض يوميات التردي العربي وتحديات التغيير» (2016) أو كتابك الآخر «آفاق إنسانية لا متناهية» (2018)؟**

نفس الخطاطة المتطلعة إلى النموذج الأفضل، في صيغته المتكاملة بنيويا على جميع المستويات فكريا وماديا. جاءت صفحات العمل الأول كخطاب رثائي لواقعنا، ومآلات أشكال الهزيمة التي ما فتئت تقوض ممكنات ما تبقى له من سبيل إلى الحياة، فكان لا بد من استحضار أسئلة حارقة من نوع تراجيديا سقوط بغداد، وترسخ شر الديكتاتوريات العربية، ومتاهة الثورة السورية، والخلاف الفلسطيني، وبيروقراطية جامعة الدول العربية، وتسيد الإرهاب والفكر الأصولي...بينما، حاولت في العمل

الثاني؛ الإصغاء إلى أحاديث مجموعة من أعلام ثقافتنا المعاصرة، أكانوا غربيين أو غيرهم، أتذكر على سبيل التمثيل لا الحصر: هاروكي موراكامي، بوب ديلن، غابريل غارسيا ماركيز، خورخي بورخيس، رولان بارت، ألكسندر سولجنيتسين، ميشيل فوكو، جان ستاروبنسكي، عبد الفتاح كيليطو، شارل بودلير، نعوم تشومسكي، فاطمة المرنيسي، يورغان هابرماس، عبد الله العروي، ريجيس دوبري، عبد اللطيف اللعبي، بيتر سلوتردايك، إدغار موران، سمير أمين، عبد السلام بنعبد العالي، جان دانييل، فابيان فيرديي، كاترين كامو، أدونيس، جوليان أسانج، علاء الأسواني، تزفيتان تودوروف، سلمان رشدي، عبد الوهاب مؤدب، سفيتلانا أليكسيفيتش، محمد الناجي... حوارات وسجالات ونقاشات، تنوعت مصادر روافدها بين أصول الفلسفة والتاريخ والاقتصاد والموسيقى والطب والصحافة والتشكيل والرواية والأدب والتقنية وعلم الاجتماع، إلخ. بقدر أيضا، انحدار أصحابها وانتمائهم إلى جغرافيات سوسيو- ثقافية مختلفة، عربية وأوروبية وأمريكية وإفريقية وآسيوية. فلا يمكننا انتشال ذواتنا، من جوف هذا الخراب النتن، سوى بالمناداة على العقلاء كي يقدموا طوق النجاة إلى هذا العالم.

**برأيك لماذا يترجم العرب المناهج الغربية مع اجتهادات فردية تمليها شخصية كل باحث وثقافته؟ وكيف يشتغل مفهوم الهوية في خضم ذلك؟**

بالتأكيد ما عاشته أوروبا ثقافيا خلال مئات السنين، اختزل لدى المثقفين العرب المجتهدين منهم طبعا، في سنوات محدودة. مما خلق تلك الحلقة المفقودة لدينا، المتمثلة في انتفاء تأسيسات العلاقة الجدلية بين الفكر والواقع؛ أو التفاوت الكبير بين زمنية الواقع ثم الزمن الفكري بحيث ترجمنا نصوص أغلب التيارات الفكرية؛ وعشناها هنا كمجرد موضة فقط، بينما تمثلها الأوروبي قلبا وقالبا؛ من خلال تأصل جذور مشروع الدولة في جوهر السياق المجتمعي. لذلك تحدثنا نظريا فقط وبكثير من الانفعال وردود الفعل اللاعقلانية: الليبرالية والاشتراكية والماركسية والاشتراكية الديمقراطية والكلاسيكية والرومانسية والواقعية والواقعية النقدية والقومية والدولة الوطنية والفيدرالية والكونفدرالية ولاهوت التحرير والسوريالية والدادائية والبنيوية وما بعد البنوية والحداثة وما بعد الحداثة والعولمة.. في حين يستمر الإشكال المركزي ماثلا غاية اللحظة: إلى أي حد استوعبت بنيات المجتمعات العربية أفق الرؤية التاريخية؟

**ما أهم الدروس التي ألهمك غاستون باشلار، على الأقل بحسب سياق اشتغالك على جانب من فكره؟**

باشلار من حكماء البشرية على امتداد تاريخها؛ فلم يكن بالعالِم أو الفيلسوف الذي ربما اكتفى فقط باستيعاب ذكي لنماذج سالفة، بل تجمع لديه ما تفرق عند العديد من نظرائه. إنه الشاعر والفيزيائي والقارئ النهم

والأديب العاشق للنصوص الحالمة والمتصوف الشغوف ببناء حواس الإنسان.. والمربي والأستاذ بالمفهوم الإغريقي للكلمة والمتواضع الذي أسس إطارا إبستمولوجيا للخطأ. بشلار، أيقونة خالدة ومدرسة هائلة، كان مبدعا منهجيا بالنسبة لكل الحقول المعرفية. ومثلما قلت في مناسبة أخرى: «عقلانية، صاغت كل ملامح التأسيس. فاستحق بذلك لقب فيلسوف، تدين له المدرسة الفرنسية بخصلة أساسية تتمثل في كونه وعلى امتداد ثلاثين سنة منذ أطروحته لنيل الدكتوراه في الفيزياء (1927) وصولا إلى آخر مؤلفاته «شعلة قنديل» (1961)، وهي كذلك سنة وفاته. كان باشلار يبحث عن صياغة مفهومية لشيء اسمه الانفصال/ المبدع. وكأنه النبي الذي يسعى إلى تخليص الإنسانية من أزماتها الفكرية. فأجاد للعلم فلسفة بديلة، ومنظومة جديدة تعبر عن الثورات الفكرية بعد ما عرف تاريخيا بأزمة الأسس في الرياضيات، وكذا ظهور نظرية النسبية مع خلخلتها لبديهيات الفيزياء النيوتونية. وعلى مستوى النص الأدبي، فقد أعطى بالنظرية النقدية التي وضع أصولها الكبرى نفسا لا نهائيا وطويلا للاشتغالات النقدية والأدبية. ولن نبالغ إذا قلنا، بأن كل النظرية الشعرية الجديدة قد خرجت من لحية باشلار.

عقلانية تتوخى المزاوجة والجمع بين المفهوم بكل إحالاته المستندة على الصرامة والضبط النظريين. ثم الصورة البلاغية بكثافتها الشاعرية، والتي ربما تختزل التجربة الإنسانية في مجملها.

عقلانية أوجدت للحقول المعرفية أدوات إجرائية للبحث والتفكير. والمفهوم الباشلاري، استثمره فوكو وألتوسير وكانغليم وبارت وجينيت وبوبر...

عقلانية باشلار، قمة إنسانية بامتياز. ولا أدل على ذلك من أن الخيط الرابط لكل كتاباته من الفيزياء إلى الكيمياء، مرورا بالخيمياء والشعر والفلسفة وكذا أبحاثه الميتافيزيقية والأنطولوجية، ثم العلم ومكونات المادة سواء في بعدها الفيزيائي أو الحلُمي، النقطة المشتركة لكل ذلك، تتمثل في لعبة الحلم. مضمون الدرس الباشلاري: أن الذي يسعى إلى إدراك هندسة القنبلة الذرية، يلزمه كذلك استحضار الخصوبة المجازية والبلاغية لصور شعراء كبار أمثال: بودلير، شيلي، نيتشه، ريلكه، نوفاليس، رامبو، لوتريامون، فيكتور هيغو...

ظلت الهواجس العلمية لفيلسوف كباشلار؛ موضوع نقاش وجدال مستمرين، نظرا للتأسيسات المفهومية المتينة التي صاغتها وهي تقارب بنظرة وأُفق جديدين الممارسة العلمية. وبالفعل، شكلت المقاربة الباشلارية مسوغا نظريا ومنهجيا لنحت أدوات منهجية وتفكيرية مكنت صيرورة العلم من خلق سبل غير معهودة».

**هل عَكَس الأدب المترجم لديك صورة واضحة عن ثقافة الآخر؟**

بدون شك، فبقدر احتكاكك بنصوص أجنبية إلا وتكرست لديك في المقابل قيم أخلاقية وسلوكية؛ قبل المتعة المعرفية. يصير اكتشاف العالم

والسفر عبر الأزمنة والأمكنة، من خلال تلك النصوص والجلوس افتراضيا إلى أصحابها، شعيرة وعبادة في غاية الطهر والنقاء والروحية الخالصة، كي تفهم أكثر فأكثر الذات قبل الآخر، وتستوعب أسئلة أعماقك. فالترجمة، إعادة صياغة للثالوث «المحرَّم» في نظر المنظومات الواحدية الدوغماطيقيات والأصوليات العدوانية، التي تعتبر مصدرا أوليا لكل شرور الحياة: الذات، الآخر، الهوية.

**ما المعايير المطلوبة لاختيار عمل قصد ترجمته؟**

يظل الشغف والافتتان، معيارين مطلقين لإنجاز ترجمة معتبرة. لذلك لا أترجم سوى النصوص التي تشعرني بألفتها، وتظللني بوافر محبتها. فأبادلها نفس الحب وأكشف لها عن مشاعري بكل شفافية. إنها صداقة إغريقية، تقتضي مني قدرة إتيقية في غاية التمدن والتحضر، على الإصغاء والتأويل بكل صدق وأمانة.

**إلى أي حد يمكن أن تساهم الترجمة في التلاقح الثقافي؟**

بل في إعادة العالم إلى صوابه ورشده، ما دامت الترجمة تبدع الجسور وتلغي المسافات وتستوعب جميع اللغات وتفكك شفرة مختلف الأنساق التأولية والترميزية. أعتقد بأن أصل جل مساوئ العالم، يكمن في أسِّ اختلال مستويات التناغم بين المتكلمين والمستمعين، ثم حينما يأخذ المستمعون بدورهم موقع المتكلمين. بمعنى ثان، انتفاء التواصل، ومن ثمة تسيد أنانية الصمم، يشكل بداية للانهيار: عليك أن تتواصل مع

نفسك والغير والطبيعة والأشياء، إلخ. علمتنا دروس التاريخ، أن جل الحضارات القديمة والحديثة، ولدت في مهد الترجمة وترعرعت بين أحضان الانفتاح على ثقافة الآخر ثم اكتسبت شبابا وقوة ونضجا بحسب القدرة على التفاعل والسجال. أخيرا، هرمت واندثرت لحظة إصابتها بفيروس اللامبالاة وعدم الاكتراث.

**ما الجوهر أو الدرس الأساسي الذي تتوخى إبلاغه للقارئ، عبر ترجماتك؟**

أود أولا، أن أتقاسم معه متعة نصوص نظرية أو سردية. بالطبع، استلهام مضامينها ورؤاها، التي غالبا ما تكون عميقة جدا. نصوص، تقدم لنا إجابات عن مواجهات حياتية مختلفة، تمدنا بسند روحي وحافز؛ كي نفهم حيثيات محيطنا الخاص على نحو أكثر توقدا وانفتاحا من الأنماط الجاهزة والقوالب السلبية القائمة ونستمر في المقاومة. لذلك، أحاول دائما استثمار نصوص تكرس هذا المبدأ وتنزع نحو هذا المصب.

**متى يكون للترجمة دور، في تغيير الصورة النمطية والكليشيهات الغربية نحو الشرق؟**

الترجمة مشروع معرفي هائل، ترتهن مدى فاعليته بطبيعة النظام العام الذي يؤطر موضوعيا مجال اشتغاله، أقصد بالتأكيد المشروع المجتمعي ككل؛ في سياقاته المتكاملة سياسيا واقتصاديا وفكريا وقيميا. هكذا،

نخلص نحو معادلة بسيطة، مفادها مساءلة هذا المشرق نفسه قبل غيره، بخصوص مستويات اجتهاده الدؤوب؛ حتى يتخلص من رمزية تلك الكليشيهات المترسخة على امتداد السنوات مثل: الاستبداد، البداوة، القمع، الكبت، العبودية، الغباء، التطرف الديني، العنف، فضاءات الحريم... جميعنا استأنس بأطروحات المستشرقين منذ القرن التاسع عشر ويوميات الرحالة الغربيين إلى الشرق. إذن، ماذا تغير بعد مضي كل هذه السنوات؟ الجواب لم يعد مدهشا لأحد، بحيث ازدادت الهوة التاريخية، بين تحضر الغرب ومستنقع الشرق، والترجمة بهذا الخصوص تتجاوز كثيرا وظيفة المترجم إلى كونها قضية قومية وورشا مؤسساتيا.

**ما أهم التحديات التي تعترض طريق مترجم الأدب؟**

موضوعيا، أظنها نفسها بحيث يصعب على المترجم الاشتغال بعطاء وإبداع ضمن نطاق واقع مجتمعي يفتقد للحس المعرفي، غير مهتم أو مبال بما يجري، في دنيا عالم الأفكار، كما الشأن حاليا بالنسبة لمحيطنا العربي. أما ذاتيا، فهي تحديات وصعوبات تختلف باختلاف المترجمين من حيث تكوينهم واجتهادهم وثقافتهم وتمكنهم من آليات اشتغالهم.

**يعاني عالمنا العربي، انغلاقا ثقافيا بحيث تتسيد المشهد دعوات العودة إلى التراث وغير آبهة بتحديات الحاضر والمستقبل. ماذا تقول بهذا الخصوص؟**

أقول ما لم يقله مالك في الخمر، فالنكوص المرضي لهؤلاء، يجسد باستمرار انتفاء الرؤية التاريخية التطورية، لدى فئات عريضة في مجتمعاتنا، نتيجة كوننا لم نختبر فعليا؛ ثورة ثقافية بالمعنى النوعي للمفهوم، تشكل قطيعة مبدعة مع البنيات العميقة؛ المتكلِّسة، جراء تراكمات عقود طويلة من التنميط المطلق والحروب الهمجية الشاملة؛ ماديا ورمزيا، سعيا لاجتثاث أصول العقلانية والنزوع الأنواري، بحيث وجدت في الاستبداد السياسي مرتعا خصبا جدا.

**أنتج المغرب العربي أقلام نسوية مهمة على صعيد الكتابة الإبداعية والنقدية. كيف تقيمون هذه التجارب؟**

نعم، وبذات القوة الإبداعية باللغتين العربية والفرنسية. يكفي، في هذا المقام، التذكير على السبيل التمثل لا الحصر، ببعض الأسماء المنتمية لأجيال مختلفة، التي تجاوزت رمزيتها البعد المحلي أو القومي، كي تعانق بفضل العدة المعرفية المتينة لمضامين كتبها، حضورا كونيا: آسيا جبار، فاطمة المرنيسي، ليلى السليماني، زكية داود، أسماء لمرابط، سمية نعمان جسوس، ليلى صبار، كوثر حرشي، مليكة مقدم، ليلى مروان، أحلام مستغانمي، ليلى أبو زيد... تجارب كتابية مهمة جدا، لا زال الاهتمام بها محتشما، قياسا إلى طبيعة الوعي الثقافي الذي تطلعت إليه مشاريع هؤلاء المبدعات الرائدات.

**ما مشاريعك المستقبلية في حقل الكتابة والتأليف؟**

هناك، مشاريع قريبة المدى كشفت عن جانب من ملامحها مؤخرا، بواسطة الموضوعات التي شرعت في نشرها قبل فترة؛ عن نصوص لألبير كامو أو جوليا كريستيفا، ثم مشاريع أخرى مستقبلية تتعلق أساسا بالمتن الباشلاري؛ لا زلت عند حدود تصور ممكنات خطاطتها النظرية.

# الديستوبيا واليوتوبيا..
# أحوال عالمنا الموبوء

حاوره: بول مخلوف

تقديم التاريخ يحمل بعض المعاني والدلالات ويسير دوّمًا إلى الأمام بحركةٍ دائرية منّظمة من أجل تحقيق أعلى أشكال المعرفة والحرية. هكذا قال «هيغل» المبشّر الأوّل للحداثة.

أورث «هيغل» فلسفة التاريخ للمشتغلين بالفلسفة من بعده وسرعان ما تبلوّرت أنساق فكرية جاءت على شكل أنظمة شمولية معَولمَة عرضت نفسها على أنها حلم الخلاص الوحيد بيدها مفتاح الملكوت، إلا أن الإنسان بقي مسلوب الإرادة، «مقذوف في العالم» كما قال جان- بول سارتر لا تحتاج إلى الكثير من الوقت ولا إلى قراءة ممعنة في مسار العالم لتلحظ أن ما يجري اليوم ليس سوى سقطة مدويّة لتيارات فلسفية كبرى وعدت بالنعيم وسرعان ما تبيّن أن فجواتُ بديهية قد تكون على شكل فيروس ممكن أن تطيح بكل جذورها. في ظل هذا الواقع الذي يتركنا معلّقين أمام القلق من أن تأتي النهاية غداً، والندم على خيارات سياسية بدت الآن أنها قرارات وجوديةٍ بامتياز لقدرتها على تسيير أحوال التاريخ، لا يمكننا سوى استحضار أفكار وهموم مفكرين أصرّوا على إعادة

تصويب الحداثة ووضعها على السكة الصحيحة، أبرزهم «جان لوي- ليوتارد» ومفهومه للسرديات الصغيرة التي تتجلّى «بالحدث» أي ولادة لحظة عفوية تكون بمثابة الضربة القاضية لمقولات السرديات الكبرى ووعودها، تماما كما يحدث اليوم تحديدا من الممكن أن يكون فيروس كورونا هو نجم المرحلة الراهنة، لكن في التحليل الأخير من تباهى بصعوده إلى القمر واقتناءه قنبلة هيدروجينية تشجب الأوكسيجين من الهواء بثوان معدودة هو في حالة زعزعة وضياع. العالم يعيش حروبا، واستعمار. في مكانٍ ما في هذه اللحظة يوجد في حقول القمح في أميركا حيث يعمل المزارعون إنترنت- وهم بغنى عنه - لكن هنالك أطفالًا يموتون جوعًا وعطشًا ومرضًا. الصحف تناقش أي بصيرة رأت المستقبل أفضل؟ هل الأفضلية كانت لعين أورويل أم لهاكسلي؟ الذاكرة الجماعية تستحضرها أفلام «الساينس فيكشن» وكلمة «جائحة» تتصدر المرتبة الأولى على في معجم البشرية اليومي. إننا نعيش «الحدث»، إننا في داخل هذا «الحدث» ووقتنا كله مكرّس لأجل الصمود. إذا ما أتى مستقبلاً وكان على المؤرخ أن ينعت المرحلة الراهنة فيه، لا شيء أفضل من عنوان «حضارة الديستوبيا عام 2020»، لكن حتى ذلك الوقت لا أحد سوى «ماكبث» يمكنه وصف استنتاجا في لحظات ما قبل النوم:

« الحياة قصة يرويها معتوه، مليئة بالضجة والغضب ولا تعني شيئا».

**الديستوبيا كما فرضت نفسها علينا، كواقع يومي مُعاش وليس فكرة خيالية قائمة بذاتها، عن أحوال العالم وعن الرأسمالية الذي يهددها فيروس كان لنا هذا الحوار مع الباحث والمترجم في الشؤون الفلسفية والعلوم الإنسانية، سعيد بوخليط.**

**منذ العام الماضي تقريبا والعالم كله لا يهدأ. المنطقة العربية مشتعلة بالحروب، إفريقيا ما زالت تحت وطأة الاستعمار، بحيث تعاني مجتمعات الأنظمة العربية إما من حركات احتجاجية عنيفة رافضة أو من ولادة غير مطمئنة لنزعات يمينية متطرفة، وهاهو وباء يدعى «كورونا» ظهر فجأة مهددا بإنهاء حياة الجنس البشري، ألا تعتقد أننا أمام واقع لا يمكن وصفه سوى بالديستوبي وأن الخيال بات متأصلا بكل جنوحه في الواقع؟**

أعتقد بأن مآل الديستوبيا أو المدينة الفاسدة الذي أدركناه، بمختلف تفاصيله المكتملة؛ مع اجتياح وباء كورونا للعالم، خلال الأسابيع الأخيرة، لم يكن في الحقيقة مباغتا أو غير ذي معنى أو بلا مقدمات منطقية، بل على العكس؛ لم يكن العالم قبله سليما معافى، ومختلف وقائع العقدين الأخيرين، مع تكريس نسق العولمة بخلفيته الاقتصادية المتمثلة في مرتكزات الليبرالية المتوحشة ذات النزوع التوتاليتاري الواحدي؛ المحكوم فقط بحافز الجشع. أقول، بأن انهيار المدينة الذي نعاين حاليا تجلياته أمام عجز الجميع، وكأننا حقا نختبر فعليا على أرض الواقع، ما أخبرتنا به الأساطير ونحن أطفال، عن نهاية العالم. فظيع جدا،

حقيقة، ما تكابده البشرية قاطبة، والعجز العلمي عامة ثم الطبي خاصة، مما جعلها لقمة سائغة تحت وطأة الاكتساح الجهنمي لحقيقة افتراضية؛ وسطوة جسم ميكروفيزيائي دقيق جدا، في منتهى الصغر، لم يتم حتى الآن تحديد مختلف خريطة بنيته الجينية والعضوية. إجمالا، النتيجة الحالية حتمية، ولم نخسر أصلا عالما جديرا بالحياة، ما دام قد صار في نهاية المطاف؛ مسرحا قذرا لرهانات: مافيات معينة تمسك بمصير ملايين البشر، شركات وبائية عابرة للقارة ومجهولة الاسم ترسم بأرباحها الخريطة الجيوبوليتيكية، أرقام فلكية توجه إلى دعم نزعات الموت، اختلالات إيكولوجية رهيبة، تعميم الحروب، قوافل اللاجئين والمهاجرين اللاشرعيين بلا أوطان، وخلفهم حشد هائل من الأطفال بلا مستقبل أو أمل، تعميم أسواق النخاسة ومواخير الدعارة، إلخ. بالتالي، فتفشي كورونا على طريقة النظرية الفيزيائية المعروفة بنظرية تأثير الفراشة، أسقط آخر أوراق التوت، وكشف بلا رياء عورة الجميع، دون أدنى لبس أو مواربة.

**لقد ترجمتَ مؤخرا مقالا فيه مراجعة لأبرز الروايات التي تحدثت عن الطاعون كجائحة تصيب الفرد وتهدد حياة المجتمع مثل روايتي «الطاعون» لألبير كامو، أو «الطاعون القرمزي» لجاك لندن، فمن بين مختلف هؤلاء الكتاب، أي واحد منهم تشعر بأن روايته تشبه واقعنا اليوم؟**

أذكر بأني قرأت أول مرة رواية الطاعون لألبير كامو، بداية سنوات 1990، إبان أولى سنوات دراساتي الجامعية، وقد استعرتها من خزانة عمومية موجودة في مراكش. خلال تلك الفترة من حياتي، كنت متأثرا جدا بالفلسفات الوجودية والتيارات التشاؤمية، فاتجهت أغلب قراءاتي إلى عناوين سارتر وكامو وهيدغر وكيركجورد وبيكيت وكافكا ويونسكو وعبد الرحمن بدوي... تمثلتُ العالم أساسا باعتباره خواء وعبثا لا معنى له، واستحضرت بمعية جانب من تلك النصوص لا سيما مع كامو، هاجس الانتحار كطوق نجاة للتخلص من ورطة الوجود؛ إلى درجة أني اختبرتُ حينئذ تجربة من هذا القبيل لم تكن بالقوية. انقضت سنوات، وخلال صيف سنة 2018، عثرت صدفة لدى أحد باعة الكتب القديمة، الترجمة التي أنجزها سهيل إدريس لطاعون كامو، لم يكن ممكنا أن أتردد دقيقة واحدة، كي أهرع بها نحو المنزل وإعادة قراءتها ثانية، لا سيما أن صاحب دار الآداب؛ يعتبر من أدق العارفين عربيا، بدقائق تلك النصوص وكنه رؤيتها الأنطولوجية. أظن، بأنها رواية تأرجحت بين خلفيتين مضمرتين: أولا، حدد هذا النص مفهوم الوجود باعتباره مجرد تجسيد مستمر لصخرة سيزيف، بحمولتها العبثية، فالطاعون الذي اجتاح مدينة وهران سنة 1947، أتاح المجال واسعا بلا معنى أمام ماكينة الموت؛ كي تحصد الناس بلا هوادة ويتساقط البشر تباعا كالجرذان. فلماذا حدث ما حدث؟ أما الشق الثاني، فيتمثل، مثلما صرح كامو نفسه، في الكشف عن

وباء النازية، إبان احتلال الألمان لباريس سنوات الأربعينات يقول، بهذا الخصوص، شارحا جانبا غير معلوم من روايته، عبر فقرات رسالة بعث بها سنة 1955، إلى رولان بارت: «الطاعون أشبه بمحتوى واضح عن نضال المقاومة الأوروبية ضد النازيين. الدليل، أن العدو الذي لم تتم تسميته، اكتشفه كل العالم، وعلى امتداد جل البلدان الأوروبية. يمثل الطاعون، وفق دلالة معينة، أكثر من مجرد سجلّ للمقاومة، وبالتأكيد ليس أقل من ذلك». إنها ذات المقارنة، التي أوضحها مؤخرا إدغار موران في إطار نقاش شخصي مع جاك أتالي: «ألم تلاحظ بأن فيروس كورونا، يشبه الغيستابو. لا نراه قط. نعلم أنه يتسكع على مقربة منا. نأخذ مختلف الاحتياطات الممكنة بهدف تحاشيه. ثم سرعان، ما يباغتنا! لقد داهم المكان، فنتوارى هاربين. صاحبني الحظ كثيرا خلال ذلك الزمان». ولأن الأدب العميق والرصين، تسكنه منذ البداية، الرؤية التبشيرية اللانهائية، المصاحبة للحياة الإنسانية. فقد أخبرتنا وسائل الإعلام، بأن رواية الطاعون، تتصدر اليوم واجهة المكتبات في فرنسا وإيطاليا وإنجلترا، كما أن «دار بنغوين» أسرعت إلى إعادة طبع الرواية.

**هذا التعامل مع القضايا من خلال الخيال غالبا ما يتضح ليصبح استشرافا للمستقبل، برأيك على ماذا يشتمل هذا الحدس؟ ومن أين ينبع؟**

أظن بأن استحضار الهاجس الإنساني، أولا وأخيرا، ضمن أي اشتغال، يمثل ترياقا شافيا؛ من جل العاهات التي تربصت بنا دائما. فلا خلاص

للبشرية، سوى بإصغائها لصوت الذات العميق، الشفاف جدا والصادق للغاية، وقد تخلصت تماما من مختلف نزوعاتها المادية الضيقة، والاحتياجات الروتينية اليومية الزائفة. صوت نبيل وجد منتبه؛ ظل مبحوحا وهامشيا، خلال عقود تغول الليبرالية المتوحشة وهي تبث أدبياتها التشيئية. في المقابل، فُتح المشهد على مصراعيه، للذئاب ومصاصي الدماء والصيارفة والميركانتليين وحراس المعبد المادي والقتلة والدجالين والتافهين والسطحيين والغوغائيين وصغار العقول وشتى مهندسي تجليات العهر الفكري والمادي.

**ليس هنالك وقت يصح أكثر من الآن، فأكثر من ملياري شخص قابعين في منازلهم، لمشروعية ودقة مصطلح «العالم بأسره عبارة عن قرية واحدة». يبدو أن وباء «كورونا» أنجز ما حلمت به العولمة بتحقيقه، وفي الواقع لا نشعر سوى بالهلع والخوف ومواجهة عدو غير مرئي من خلال البقاء في حجرنا الخاص والابتعاد عن الآخر، وكأننا تماما تحت سيطرة ديكتاتوري مستبد سلب منا حريتنا بالقوة. كيف يمكننا التعامل مع الحرية اليوم؟ ما مفهوم الحرية اليوم؟**

قاعدة الحرية الحقيقية، كما صاغتها الفلسفات والأدبيات الثورية، واستوعبها الأفراد الأحرار حقا، تبدأ مطلقا من الداخل وتنتهي إلى الداخل، بمعنى أن الحرية منبعها الفرد أولا وأخيرا، فلا يمكن بتاتا خلق مجتمعات حرة؛ دون وجود أفراد يحسون أولا بكونهم أحرارا بالمطلق،

بغض النظر عن حيثيات لعبة المكان وامتدادات الواقع الموضوعي. أو بمعنى ثان، تسير وفق جدلية الحرية الفردية والجماعية؛ مسارين متداخلين خلاقين. ولذلك، فمفهوم الحرية اليوم، ثم كيف السبيل إلى الاشتغال عليه، واستيعابه على نحو فعال وملموس؛ يتجسد في فتح سجال عميق مع الذات. لذلك أكاد أجزم؛ بأننا لم نخسر أي امتياز، مع هذا الاحتجاز الكلياني الكوني، جراء كورونا، فالحرية قضية ذاتية، جوانية، دون الانقياد وراء وهمية فسحة الفضاء العمومي كما تكرس مع عولمة الليبرالية المتوحشة.

**بسبب الإجراءات الوقائية المتبعة من أجل سلامة الأفراد، علقت يافطة في إحدى صالات السينما في نيويورك مفادها: «السينما مقفلة إلى حين استعادة الحياة لطبيعتها، وليس كما تبدو عليه الأفلام». في رأيك، نحو أي جانب يلزم أن ينصب عليه وعي البطل/ الفرد، إلى الخارج أي نقد السياسات الاجتماعية- الاقتصادية، التي ترزح المجتمعات تحتها، أم صوب الداخل أي أن يعيد تقييم نفسه من جديد وإعادة النظر في سلوكه؟**

يتعلق الأمر، بمسألة وعي مجتمعي حاذق جدا، منتبه للأسئلة الأنطولوجية. حقيقة، الجميع مذنب، وكل واحد من موقعه الخاص؛ يتحمل وسيتحمل نصيبا مما يجري في هذا العالم. المسؤولية مشتركة، يتقاسمها الجميع وفق جدليتي الذاتي والجماعي، الخاص والعام، الجواني والبراني. قيل دائما: «من يحب الحياة يذهب إلى السينما». لكن

للأسف، وبين عشية وضحاها، أضحى ولوج السينما حاليا، استحضارا للموت بكل الحواس؛ وقتلا للآخر بحكم إمكانية انتقال العدوى. لكن السؤال المطروح بحدة على مجتمعات التخلف، التي ننتمي إليها، أقصد شمال إفريقيا والشرق الأوسط، يحاكم لا محالة وبحدة أنظمة الحكم على امتداد تلك البقعة الموبوءة جروحا وانكسارات وفيروسات الفساد، قبل كورونا بسنوات طويلة، بخصوص انعدام مشاريع مجتمعية بناءة، كان يفترض تأليفها بين ديمقراطية السياسي ونجاعة الاقتصادي وذكاء الثقافي وعمق الفني وتمدن الإيتيقي، تفرز من جوفها مواطنا سويا؛ تحركه قيم المواطنة والمروءة، يدرك جيدا ما يقع حوله وكذا احتمالات المستقبل. لربما، توفر اليوم بكل يسر، جنس بشري قادر على استيعاب إشكاليات القائم وخبايا الطارئ، في إطار ديمقراطي تسوده روح المواطنة. لكن للأسف الشديد، انتقلت هذه الشعوب فقط من حصار كبير إلى حصار آخر أكبر منه، لأن اتجاه أنظمة الحكم وتحالفاتها الطبقية، انصب خلال زمان ما قبل كورونا، على تجفيف منابع الحياة كيفما أينعت، والدأب على تسميم الواقع، بهدف خلق أقوام من الزومبي، لا ترى ولا تسمع ولا تتكلم، وتشييد مجتمعات الكراسي الفارغة، حفاظا على استمرار كراسي حكمها. لذلك، ستؤدي الشعوب، اليوم كالغد مثلما البارحة؛ ثمنا غاليا طيلة السنوات المقبلة بعد انقضاء لحظة عولمة كورونا.

**لقد صرح بوريس جونسون، بما خجلت عن قوله النخب الأوروبية مجتمعة. فقد أفصح عما تضمره الأنظمة الليبرالية عند المس بمصالحها من خلال الاعتراف بأحداث الواقع والتسليم بأمرها. إذ قال: «هناك عائلات وأشخاص نحبهم سيموتون قبل وقتهم». يعيدنا هذا التصريح إلى نهج القوة كمفهوم البقاء للأقوى الذي يعارضه مبدئيا النظام الديمقراطي المفترض أن يوفر لأبنائه الرعاية الصحية الكاملة كحق مقدس دون أي تمييز على الصعيد الطبقي. هل نحن قادمون خلال المستقبل القريب على حكم سياسي يجسده طاغية؟**

نعم، كان تصريح جونسون المعروف أساسا بالدعابة والعفوية، مؤلما جدا يتسم بطابع جنائزي، للمفارقة! جونسون نفسه أصابه الوباء. من ناحية، ومهما تعددت التأويلات، فقد عكَسَ جونسون في اعتقادي الشخصي؛ نموذج القائد الذي يتكلم مع شعبه بكل تلقائية وصراحة. ذكرني صنيعه، بخطب تشرشل والجنرال ديغول، خلال مواجهة النازية، حقبة الحرب العالمية الثانية. أما من ناحية ثانية، فقد أبان اجتياح الوباء، عن عجز المنظومة الصحية الغربية، التي توهمناها، طيلة عقود بأنها جبارة لا يشق لها غبار، بحيث حسمت المسألة الصحية. غير أن التهديد الحالي، الذي يمس بقاء النوع البشري، أوضح بأن النظام الرأسمالي وصل مراحله الأخيرة، واستنفذ مختلف ذخيرته، مما يحتم إعادة النظر جذريا في كثير من البداهات المكرسة. فكم هي تريليونات الدولارات

التي أنفقها الغرب الرأسمالي من أجل تطوير فاعلية أسلحة للدمار الشامل؟ وكم هي تريليونات الدولارات التي أنفقت لشراء أسلحة مكدسة حاليا في المخازن والأقبية؟ وكم هي ملايين الدولارات التي بعثرت بلا طائل، يمينا وشمالا، بهدف تمويل حركة انقلابية، وإسقاط هذا النظام أو ذاك؟ نكاية فقط في الاختيارات الحرة للشعوب. كم هي الأموال الطائلة التي أحرقها الاستبداد العربي سنة 2011، بهدف خوض صراع دونكيشوتي(نسبة إلى دونكيشوت)، كي تتقعر أكثر فأكثر مؤخرة الكراسي المشروخة أصلا، ويستمر خواء الاستنزاف. عموما، مع جائحة الركود الاقتصادي الناجم بلا ريب عن حصار الوباء، فلا خيار أمام الأنظمة سوى تأبيد قانون حالة الطوارئ، وتجميع كل السلطة في يد الأجهزة القمعية والمخابراتية، كي تفعل ما تشاء بالجياع، دون حسيب أو رقيب، وبالتالي مزيد من التضييق على مؤسسات الدولة المدنية.

**بالحديث عن الليبرالية الديمقراطية، ادعى بعض عرَّابيها والمروجين لها أمثال فوكوياما، بأن حركة التاريخ انتهت مع هذا التيار، نظرا لنجاحه في بلوغ سدة الحكم، بينما أخفق المعسكر الثاني في الاستمرار. هل تعتقد بأن عجز هذه الليبرالية الديمقراطية عن تحقيق الأمان والحجات لشعوبها وعدم قدرتها على مواجهة الأخطار الداهمة، ستسرع فعلا بنهاية التاريخ البشري؟**

عندما سقط نظام القطبين، بداية التسعينات، مانحا تتويج الانتصار للولايات المتحدة الأمريكية، بادر فعلا فوكوياما المفكر الأمريكي ذي الأصول اليابانية؛ إلى الدفاع عن أطروحته التي عنونها ب «نهاية التاريخ والإنسان الأخير»، قصد التنظير لانتصار المعسكر الليبرالي بزعامة أمريكا، وصياغة نظريته الهيغيلية الشمولية، التي تعكس أساسا وجه نظر المحافظين؛ بالإعلان عن نهاية التاريخ ودعوته إلى عولمة الديمقراطية الليبرالية. هكذا، تسلمت الدوائر العليا في واشنطن، الإدارة المطلقة لتدبير مصير كل الأمم. غير أن هذه الليبرالية الأمريكية، فقدت البوصلة ودخلت متاهات الارتداد؛ بأكلها نفسها، حتى بلغنا الحرب العالمية الثالثة التي نتابع أطوارها آنيا؛ بعد سلسلة أزمات دورية. إذن، بمناسبة سياق جائحة كورونا، أكدت كتابات العديد من قارئي السياسة الدولية والفلاسفة والسوسيولوجيين، على أن العالم بصدد ولوجه مرحلة نوعية مختلفة تماما عن ما قبل كورونا، وأن نظاما جديدا غير الذي عرفناه طيلة العقود الثلاثة الأخيرة بصدد التشكل، وأولى ملامحه في مرحلة التكون، وبالتأكيد لن تزيغ آفاقه عن الإطار التالي:

- لن تستمر الولايات المتحدة الأمريكية، القوة الأولى في العالم. والتوزيع الجيو-سياسي للمنظومة الدولية، سيعرف تحولات بنيوية.

- إعادة النظر في منظومة الاتحاد الأوروبي؛ نتيجة تخاذل موقفه من إيطاليا وإسبانيا.
- صعود التيارات القومية والشعبوية والدينية.
- ثورات شعبية جارفة في المنطقة العربية، وحتما سقوط أنظمة.

**عندما بلغت الاحتجاجات الشعبية ضد النيوليبرالية، أوجهها في التشيلي، كتب شعار على الحائط يقول: «إنها ليست الكآبة بل إنها مرحلة الرأسمالية». هل توافق على هذا الشعار؟ ما تعليقك؟**

فعلا، إنها الرأسمالية التي لا تتوقف عن افتعال حاجات زائفة، لا نهائية، من أجل تسمين عجلها الذهبي، فإنها تعمم ضمنيا لدى البشري الإحساس المؤرق باللا- اكتمال، ومن ثمة لا نهائية السأم والضجر، ما دامت ماهية الرأسمالية، تستند على تهذيب الوهم، والتأجيل الدائم للسعادة. فأساس الرأسمالية وفق صيغتها النيو- ليبرالية، ينهل من خلق فجوة غير قابلة للردم بين الفرد وكذا السياق المجتمعي، وإضعاف مناعة صموده أمام فوبيا الاستهلاك.

**لا بد من الإشارة إلى النزعة العدمية التي بدأت تطغى على حياة الأفراد وتتضح معالمها في أبسط بديهيات الخطاب اليومي، وعدم اكتراث بالمستجدات، وكأن وجوده مجانيا. ألا تعتقد أن ذلك يعود إلى فشل المؤسسات خصوصا على الصعيد السياسي والإداري، بإعطاء**

**مجتمعاتهم وقتا كافيا بعيدا عن إنتاجهم، ليكتشفوا من خلالها معنى لحياتهم؟**

الحس العدمي متأصل في بنيان الوجود الإنساني، غير أنه قد يتسيد أو يتوارى إلى الخلف، والأهم ضرورة بقائه عند السؤال الميتافيزيقي، المتعالي، دون سقوطه في حضن براثين الإسفاف والابتذال الإيديولوجيين، لحظتها يتأزم الوضع الإنساني؛ ويغدو وباء على نفسه. بحيث يكتسي منظومة عقيدة توتاليتارية قاتلة، تنشر الموت، ما دامت تحاصر الهويات وتغتال العقل وتبث روح التشاؤم في كل مكان. أود التمييز بين العدمية كسؤال ميتافيزيقي؛ ثم انتقالها من دائرة الذات إلى الموضوعي؛ وأخيرا انحرافها نحو الإيديولوجيا. إنها تنتعش كالطحالب وسط المستنقعات الراكدة، أزمنة الصدمات الكبرى التي تشل قدرات التفكير البشري. أيضا، تراكم أرباحها على طريقة تجار الحرب، لأنها تنتعش في السوق السوداء مستفيدة بالدرجة الأولى من النكبات. أبرز مثال، الفاشية والنازية والأصوليات الإرهابية.

**هل نحن إذن أمام ملامح الفرد العدمي الحديث الذي تحدث عنه سيوران، أو أننا سنتفاجأ بظهور سوبرمان نيتشه؟**

لا أظنه تباين بين التوجهين والتصورين، بل تحتم صيرورة الحقيقة الإنسانية، تزاوجا تكامليا بين العدمية كحس ميتافيزيقي عميق يخلخل الأنساق المغلقة التي تتوخى اغتيال الإنسان في جوهره الخاص، أفق

يمنح الذات مجردة عن أي انتماء؛ مجالا رحبا لتأمل مصيرها المنتهي حتما غاية الموت. ثم في نفس الآن، يحتم وضع من هذا القبيل، التحلي بروح نيتشوية متوثبة باستمرار؛ كي ترسم الذات مسالك أخرى غير سبيل هذا العدم الذي يكتنفها من كل جانب.

**في الحالتين معا، هل ترى أننا أمام إمكانية ولادة طليعية جديدة تقدم تصورا مستقبليا مختلفا في المستقبل القريب؟ إذا كان جوابك بنعم، من دعاته برأيك؟ وما ميزته؟**

يصعب الجزم، لأنه خلال اللحظات مثل التي نعيشها حاليا، تتنافس أصوات كثيرة بهدف تقديم أجوبة كثيرة لأسئلة ملحة، وغالبا ما تتسم الإجابة بداية؛ بالانفعالية واللاعقلانية. لكن، مع اتساع مساحة التأمل وتوضح أبعاد المشهد. حينذاك، تصمت كل اللغات، لصالح خطاب الحكمة والتروي والنضج ووضع المعطيات ضمن خانتها الصحيحة. لكن، المفارقة غير القابلة للحسم، أن البشرية سرعان ما يداهمها النسيان وتعود إلى ارتكاب نفس الحماقات.

**إذا كان لا بد من تغيير بنية الأنظمة أو ظهور نموذج مختلف فور انتهاء هذه الأزمة، هل تعتقد أنه سيأخذ بعين الاعتبار نظرية باشلار عن القطيعة المعرفية ويرتكز هذا النظام الجديد على مقومات حديثة غير تقليدية،**

**فيكون بذلك قد أخذ بعين الاعتبار كل النظريات المابعد-حداثية التي قوضت الحداثة؟**

جيد، أن سؤالك استحضر مفهوم القطيعة الابستمولوجية الباشلارية، الذي شكل آلية منهجية في غاية الفعالية والتثوير أكثر من التطور، أمدت الصرح المعرفي بحلول إجرائية، أخرجته من الباب المسدود، الذي أدركته العلوم الدقيقة بداية القرن العشرين بسبب النظام المعرفي لمقتضيات إشكاليات اختلفت طبيعتها عن التي تمحور حولها العلم الكلاسيكي. أود القول، على ضوء ذلك، بأن باشلار يمثل فيلسوف التوافقات العظمى، فقد استطاع بعقلانيته المنفتحة المرنة والتطبيقية، إيجاد أرضية وحدت المعارف ضمن بوتقة خلاقة، ومن خلال ذلك، استثمار منصف لمختلف الملكات التي تميز تعددية الكائن الإنساني، في إطار القطبين الكبيرين: العلم والأدب، أي الذكاء والجمال، العقل والخيال.... تأسيس لا يتوقف، يهذب الكيان الإنساني في أبعاده المتكاملة والمتوازنة.

**بالعودة إلى سؤال المعنى، الذي يبدو الآن مناسبا، أكثر من أي وقت مضى، فما معنى الفلسفة اليوم؟**

الإنصات الدقيق للأسئلة التي تطرحها مستجدات الحياة البشرية، وعدم التوقف عن دق ناقوس الخطر.

**كلمة أخيرة؟**

وأنا منكب على تدبيج أجوبة هذا الحوار، قصفتني الفضائيات بخبريين تراجيديين؛ كالتالي:

- طبيب أمريكي في مستشفيات نيويورك؛ يرتدي أكياس القمامة، احتماء من عدوى مرضى كورونا!
- انتحار توماس شيفر وزير المالية؛ لولاية هيسن، وقد استشعر من الآن، مثلما شرحت بعض التقارير الإعلامية، رعب الكارثة الاقتصادية التي سيخلفها الوباء..

أمام حدثين من هذا النوع، لا يمكن للواحد سوى الانكفاء على ذاته؛ صمتا وتأملا، والشرود بعيدا؛ حقا بعيدا جدا.

# الكتابة، جمالية باشلار، الترجمة، المثقف

## حاوره: أحمد العكيدي

**بداية ماذا يمثل فعل الكتابة بالنسبة إليك؟**

يمثل ما أكتبه بالنسبة إلي، رافدا ثانيا؛ كي أدرك العالم وأستوعبه ثم أعيشه على ضوء ذلك. بمعنى، أسعى باستمرار؛ كي أجعل من هويتي الفكرية مرجعية حياتية في ذات الآن، فلا انفصام ولا تفاوت ولا تباين بين الفكري والشخصي. إنها، الوضعية الأصيلة والمبدئية، لكل من التجأ إلى مضمار الكتابة ووجد نفسه، ضمن سياقاتها؛ الصعبة والفسيحة جدا. حاولت باستمرار، اختبار أفكاري على محك الواقع، بالكيفية التي تبدو لي تعبيرا عن انسجام تام؛ دون مرايا مهشمة، بيني وبين أفكاري، وقد كانت لي مجازفات بالتأكيد؛ من ثمة تقويض كل أنواع وأنماط تلك الازدواجية السيكوباتية، التي تسقط الشخص تحت وطأة براثنها المرضية، إذا حاول اعتبار الكتابة؛ مجرد نشاط هامشي يمارس من باب الترويح على النفوس المتعبة كلما دعت الضرورة إلى ذلك. بالتالي، هي مجرد تفاصيل حياة توضع جانبا في قاعة الانتظار، تؤخذ أو تترك؛ تبعا لدواعي ظرفية، في إطار رغبات من يريد أن يكتب، ولا علاقة لتلك

المنظومة، بوقائع الحياة الشخصية لصاحبها. بناء عليه؛ أحاول كل يوم، التمرس بكيفية صوفية على أن أصبح عين ما أكتبه، بتلك الشفافية المطلقة المفترض توفرها لدى من يسمح لنفسه، بخط علامات يود تقاسمها مع آخر مفترض. حتما، العملية ليست سهلة المنال؛ ولا الاختبار بوسعه بلورة نتائج إيجابية بالمفهوم المطلق للكلمة، بل السعي يتقلص أو يتمدد؛ قد يكون شحيحا أو سخيا، بحسب مستويات علاقتك بالكتابة، ثم الحمولة المعرفية والمفهومية والإيتيقية لما تتوخى تحويله إلى كتابة. إجمالا، أنا من المعتقدين صدقا، بضرورة أن يكون الكاتب صاحب هوية واحدة، يلتئم في إطارها الشخصي والكتابة، دون تمزق وجداني أو وعي شقي، ثم من جهة ثانية، يلزمها أن تظل هوية منفتحة ومتعددة، حتى لا تسقط في الجمود والشلل ثم العقم والموت.

**يلاحظ المتتبع لمسيرتك الأكاديمية، اهتمامك الكبير بأعمال الفيلسوف غاستون باشلار، ما سر هذا الاهتمام؟**

اهتمام يتأتى أساسا، من طبيعة جوابي عن سؤالكم بخصوص مفهومي للكتابة؛ التي تبقى بحسب تقديري الشخصي، مشروعا حياتيا لصاحبها، فلا يمكن لعملية من هذا القبيل؛ الديمومة دون عنصر الشغف، وجلّ ما ينطوي عليه من معاني الولع والحب والاستئناس إلخ. بدأت علاقتي بكتابات باشلار الشعرية، رسمية في البداية متكلفة، محترسة ومتحفظة، تحت دافع «إداري»؛ يقنن زمانيا ومنهجيا المجال المسموح به

لإنجاز بحث للدكتوراه في موضوع يهم النقد الحديث أواسط سنوات التسعينات؛ في كلية الآداب بمراكش، حول موضوع العناصر الكونية الأربعة (الماء، الأرض، النار، الهواء)، وأبعادها البلاغية والشعرية، غير أن الأمر أخذ بعدا أكثر عمقا وترسخا؛ مع مرور الأيام، وقررت أن أجعل من فكر باشلار، على مستوى هذا الجانب أساسا، مجالا لأبحاث وترجمات وكتابات؛ وهذا ما أحاوله قدر ما أستطيع. لا زال الطريق بعيدا، فلم أنجز سوى القليل جدا؛ مجرد مقدمات وعتبات، أقولها صدقا وليس رياء، لأن مشروع الانتقال بباشلار في شقه الأدبي إلى اللغة العربية، ينتظره الكثير. ترجمة وتأليفا.

**في فلسفة غاستون باشلار، كيف يمكنك تبسيط هذه الفلسفة للقارئ غير المتخصص، خصوصا فلسفته الجمالية وأفكاره حول القصيدة والعلم؟**

عرف باشلار لدينا أكثر، ضمن الوسط الفكري والثقافي، من خلال مفاهيمه الابستمولوجية المنصبة على قراءة تاريخ العلم؛ وتأسيس فلسفة منفتحة تستجيب لتطورات العلوم، بالتالي تجنب كل نزوع لخلق هوة عميقة بين العلم والفلسفة. أيضا، اختزلت معرفتنا أكثر بخصوص باشلار عند مفهوميه، القطيعة والعائق، اللذين اكتسبا شهرتهما الواسعة، مع توظيفها إجرائيا من طرف الأستاذ محمد عابد الجابري في كتابه نحن والتراث، بداية سنوات الثمانينات، ثم فيما بعد كتابات الأستاذ محمد

وقيدي. وبقي جانب ثان من فكر باشلار، غير مطروق؛ إلا فيما نذر، مع أنه يقف عند ذات زخم مستوى الرافد الأول، بل باشلار نفسه أكد في مواقع عدة، عن المعاني التي توضح بأن الذكاء والجمال أو بلغة مباشرة الرياضيات والشعر، يتكلمان نفس اللغة عبر إشارات متباينة، لكن مصدرهما يبقى واحدا؛ يتمثل في الخيال الإنساني. لقد تأسس المشروع الباشلاري، على رافدين أساسيين: العلم والقصيدة. ومن أجل فهم حقيقي لتصور باشلار، يجدر في حقيقة الأمر الربط داخل سياق واحد بين صياغة العالم بمقولة المفهوم (العلم)، وكذا تمثل الذات الإنسانية للأشياء، والمكونات الكوسمولوجية بنوع من الحُلُمية الشاعرية. انطلاقا بطبيعة الحال، من الألفة والحميمة، ثم خاصة الدهشة التي تؤسس علاقة هذه الذات بالهنا والهناك. لا شك أن نظرية الخيال، تجسد اللحظة المفهومية التي بإمكانها إعطاء وحدة لنظرية باشلار، سواء في مقاربتها لنصوص الكيميائيين والفيزيائيين، أو حينما تستلهم المناخ الحلُمي لنصوص شعرية كبيرة كتلك التي نسجها: لوتريامون/ شيلي/ رامبو/ نوڤاليس/ بودلير/ إدغار آلان بو/ نيتشه/ هيغو/ بروتون/ أراغون/ غيوم... باشلار، دائما نفسه. فإذا كانت المادة الفيزيائية، تعطي إمكانية الكشف عن الماهيات الممكنة للوجود، فالمادة اللغوية الإبداعية، تضع الكائن الحالم داخل أفق فكري؛ وجمالي دائمي الانسياب. باشلار، حينما يؤسس لمبحث جديد للخيال، يسعى للبحث في الحقول

والنظريات المعرفية التي تقدم له مجالا مفهوميا يعطي لنظريته صياغة متكاملة. تميز باشلار، بخصلته الموسوعية الكبيرة؛ وقدرة على ولوج فضاءات معرفية متعددة، توزعت بين حقول مختلفة. مسألة تأتت له، من عقلانيته الحالمة والمنفتحة ثم شغفه اليومي بالقراءة والدأب عليها.

**تعتبر الترجمة من أهم وسائل التواصل الثقافي والانفتاح على الإنتاج المعرفي الإنساني لكنها لا تخلو من صعوبة وخطورة أيضا، كمترجم كيف تستطيع تجنب الإضرار بالنص الأصلي، خصوصا النصوص الأدبية التي تتميز بأساليب فنية وجمالية تختلف باختلاف كتابها؟**

مثلما أجبت سابقا في مناسبة أخرى، غير هذه؛ فأنا لا أقرأ ولا أكتب ولا أترجم سوى ما يستهويني، لا أراعي بهذا الخصوص، سلطة أخرى سوى لذة النص، بالتماهي مع ذاتي، وعشق ما أفعله، ولا يهمني في هذا الإطار شيئا ثانيا، وأظن بأن هذا الوازع يعتبر مقوما أساسيا بخصوص خلق جسور الألفة والاستئناس والود؛ مع النص المتوخى ترجمته، وتفادي الصعوبة والخطورة، المشار إليهما بين طيات السؤال. بدون هذا المعطى النفسي الأساسي، يصعب تماما التحلي بخصلة الإصغاء الودود واليقظ لتضاريس، خطاب ما؛ كيفما جاءت بنيته اللسانية والتركيبية والدلالية. طبعا، تختلف مستويات النصوص وكيفيات مقاربتها. لا شك في ذلك، ولا تكون دائما المهمة ميسرة؛ في المتناول من الوهلة الأولى، بل تأتي لحظات تشعر فعلا بالعجز تماما؛ أمام معنى أو جملة بل وأحيانا

كلمة، لا سيما إذا كانت لغة الكاتب صعبة تنهض على مرجعية غير تقليدية، وقد استفاض في الاشتقاقات والمجازات والتضمينات، وإثراء نصه بصور تنهل من روافد معرفية. لذلك، قيل بأن الترجمة الجيدة، هي تلك الزاخرة؛ بالهوامش والحواشي والتعريفات والاستطرادات وفتح الأقواس ووضع الجمل الاعتراضية، إلخ. تقنيات، تتوخى تقريب النص بشتى الوسائل الممكنة. أيضا، الترجمة التي يشتغل عليها المترجم مع صاحب النص، بحيث يعود إليه باستمرار حتى لا يجنح بالمعنى المقصود أصلا، نحو وجهات غير مقصودة. أخيرا، هناك صنف آخر من الكتَّاب، يرفض رفضا باتا تفويض نصوصه إلى شخص آخر، ويحرص أيَّما حرص على ترجمتها بنفسه.

**في نظرك، ما الدور الذي يمكن أن يلعبه المثقف العربي في خضم التحولات العميقة التي يشهدها العالم عموما والوطن العربي خصوصا؟**

إنه سؤال الحلقة اللولبية، المتشعب؛ الذي بقدر ما يبدو كلاسيكيا عتيقا جدا، في غاية البداهة، وأحيانا عبثيا بلا جدوى لا سيما إبان لحظات الانحدار المحبطة، حينما تتأكد للعيان سلبية المثقف، أقول حينما تلغى جدواه كما الشأن في راهننا بحيث لا سلطة رمزية تذكر ضمن سياق الشأن العام، بما أن الاختيارات الحاسمة للاختيارت المجتمعية تدار بعيدا جدا جدا، داخل دهاليز منغلقة، غير آبهة بتاتا بتلك المشاريع الفكرية التي يشتغل عليها المثقف، تحت دعاوي ديماغوجية. من قبيل، أن المثقف

كائن خرافي، يعيش في برج متوسدا نظرياته، ولا يدرك فعليا متواليات الواقع التي تقتضي برامج إجرائية مستعجلة، وهذا من شأن المتخصصين التقنوقراطيين أو البيروقراطيين، بينما يجدر بقاء المثقف المنتج للمعرفة، القادر على نحت المفاهيم التي تشرح سياقات الواقع بحسب تقلباته المختلفة، في قلب نواة التفكير المجتمعي. عموما، سواء تحقق هذا الشرط الموضوعي أم لم يتحقق! وبغض النظر عن ذلك، تستمر بدون توقف، معركة المثقف مع ذاته، أولا وأخيرا، في بقائه شفافا مع اختياراته، منسجما مع اختياراته، دؤوبا على احترام ضميره، وبلغة أخرى حسه الإنساني الذي ينزع نحو البشرية قاطبة.

**كباحث ما موقع البحث العلمي في بناء مغرب الغد وما أبرز معيقات تطوره؟**

لا حاجة للتذكير أيضا، ببداهة أن المنظومات الإنسانية التي تخلت عن البحث العلمي لصالح غيره، لن تجد لها موقعا مناسبا ضمن مسارات التاريخ حاليا ومستقبلا، وستجر لأجيال طويلة الأعباء الثقيلة، لتلك التراكمات البنيوية العويصة والمتداخلة جدا، التي راكمتها كل سنوات الابتعاد عن مرجعيات العلم وإقصاء زخم الذكاء والجمال، لصالح مختلف أنماط التوتاليتارية والتنميط والدوغماطيقية، ثم شتى الأعطاب المفصلية الناجمة عن ذلك. ولعل ما فعلته جائحة كورونا بالبشرية، تلك الصدمة المدوية غير القابلة للاستيعاب غاية اللحظة، رغم مرور أكثر من

ست أشهر تقريبا، أكد بكل اللغات أن خلاص الجميع يتمثل في التمكن العلمي بحيثياته الجلية والضمنية، وبأن محركات البحث والتفكير والتدبير العقلاني، بناء على مشاريع مجتمعية؛ تستلهم يوميا قيم التحديث وبناء الإنسان. أتمنى انخراط مجتمعنا المغربي، بالجدية المطلوبة، إلى ممكنات هذا الأفق.

**كلمة أخيرة؟**

أولا، شكرا لكم على هذه المبادرة الطيبة. ثانيا، أتمنى حقيقة أن يجد العالم قاطبة، بعد جائحة كورونا، وضعا أفضل بكثير، وطريقا مختلفا جذريا عن عالم ما قبل الوباء.

# تأملات عابرة حول غاستون باشلار

حاوره: حليمة هبري

## تقديم

عن طريق الكتابة والترجمة يطوي الباحث المغربي سعيد بوخليط الصورة الوهمية عن الآخر ليمد جسور المعرفة والتواصل بين الشرق والغرب، فأعماله الفكرية المنذورة لمطاردة طيف غاستون باشلار، تكشف عن مدى سعيه للبحث وممارسة فن الإصغاء لممكنات حلمية باشلار المجللة بالغموض البليغ، انطلاقا من أطروحته الجامعية الموسومة بشعرية العناصر الأربعة عند الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار: «الماء والأرض والهواء والنار»، التي تعتبر الولادة السحرية الأولى المقتفية للروح الباشلارية المفقودة، ثم تلتها ولادات أخرى تمثلت في كتاب غاستون باشلار: عقلانية حالمة (2002)، غاستون باشلار نحو أفق للحلم (2005)، غاستون باشلار: بين ذكاء العلم وجمالية القصيدة (2009)، غاستون باشلار مفاهيم النظرية الجمالية (2012)، المتخيل والعقلانية دراسات في فلسفة غاستون باشلار (2013)، لينعطف سفره الفكري بعد ذلك نحو مشارب بحثية جديدة أخرى تعكس اهتمامات مختلفة، فجاءت أعمال من قبيل: نوابغ سير وحوارات (2012)، قضايا وحوارات بين المنظور الأيديولوجي والمعرفي

**(2014)، بين الفلسفة والأدب: دراسات (2014)، يوميات حالم مغربي (2015)، أعلام وقضايا وأحداث على غير المألوف (2016)، تأملات في بعض يوميات التردي العربي وتحديات التغيير(2016)، أمي الحبيبة: من بودلير إلى سانت إيكزوبيري، رسائل أدباء (2017)، آفاق إنسانية لا متناهية حوارات ومناظرات (2018)، إيحاءات قرائية وحوارات نصية (2019)، مفاهيم، رؤى، مسارات، وسير نصوص رائدة (2020)....**

**الكتابة كشف لسرائر النفس التي تمارس لعبة التخفي والتجلي، بين حرف وآخر تتمزق الأرواح معبرة عن الألم وترقع نفسها بنفسها كي تتشظى حروف أخرى تسعى للدعوة للأمل، وما دامت الكتابة بمثابة إصغاء مرهف لتناقضات الحياة الرائعة المريعة، فإنها تعبر في الأخير عن القلق البشري. بداية ككاتب متعطش دوما لهواجس الكتابة، كيف تعيش هذه التجربة الملحمية؟**

أحيانا يصعب أن نجد تعريفا لما نفعله، لأن ذلك يقتضي أساسا خلق، مسافة تنطوي على ما يكفي من الموضوعية، حتى نتمكن من تصور واضح، بخصوص المفهوم المتوخى تحديده. وأنا بقدر ما أجدني ماسكا بالقلم، أحاور باستمرار نصا، أو أقلِّب فكرة أو أتصور الانكباب على قضية... إلخ. وبما أن العلاقة بهذا التداخل الإشكالي، مثل تلك العلاقة المنصهرة أنطولوجيا بين الموت والحياة، الجسد والروح، العقل والخيال.... لذلك، يصعب تأطير الكتابة ضمن بوتقة مكتملة بذاتها،

قائمة المعنى ومطلقة التشكل، في استقلال عن جغرافية الذات بكل تضاريسها المتداخلة جدا، والمعقدة للغاية. يصعب تحديد مفهوم الكتابة، والمسألة تختلف ليس فقط من كاتب إلى آخر، بل لدى الكاتب الواحد، لأنها مستمرة في التحول، تبعا للحالات والسياقات والرؤى وكذا مساحات النضج أو التقهقر، ضمن تلك الثوابت المرجعية، طبعا، الكبرى التي تحكم دائما مشروعه. دلالة الكتابة مستمرة بكيفية متواترة، دائمة التوتر، ضمن تضاعيف الذات. مع ذلك، تواجهني، ربما بكيفية مشتركة مع جميع من يعيش حرقة أسئلة الوجود، ويحاول إعادة تأملها من خلال الكتابة، ما دامت الأخيرة صياغة أخرى للوجود بالكيفية التي يريدها الكاتب أصلا، بمعنى ما يكتب يشكل حياته المبتغاة ضمنيا قبل كل شيء. لذلك تجد الكتاب، غير مستأنسين، سوى ضمن نطاق متون ما يكتبون. باستمرار أطرح هذا السؤال، مع عناوينه الفرعية: لماذا تحولت إلى هذا؟ ولماذا اخترت سبيلا على هذا النحو دون غيره؟ كم درجات وعيي الصادقة حقا بما أقوم به؟ ما مستويات «الدناءة» ضمن عملي؟ إلى أي حد تنحو مستويات قدرتي، كي أعكس فعليا ما أنا بصدد تدبيجه؟

تعترضني صعوبات بخصوص التأرجح المتوازن بين التأليف الشخصي والترجمة– أساسا الترجمة تظل في نهاية المطاف كتابة ثانية لنص مفترض- ثم بينهما معا والقراءة، وطبيعة القراءة التي ينبغي الانحياز لها أكثر، حتى تضفي إشعاعا وتأثيرا خصبا على الكتابة

والترجمة. المسألة معقدة ومتداخلة بحساسية مفرطة، وأفضل مخرج، جعلها منسابة مع انسياب ممكنات الذات اللانهائية.

**في ظل سعيك الحثيث وراء المشروع الباشلاري واختراقك المتواصل لآثاره الفكرية، تناسلت إثر ذلك بحوث عديدة. إلى أي درجة مس هذا الفكر الحالم بطابعه العلمي الحسي فلاسفة الاختلاف في نظرتك؟**

غاستون باشلار، معلم إنساني كبير، ومعلمة كونية أبدية، فتح بفكره الموسوعي الرصين الضخم والمنفتح والمختلف، مشارب عدة سواء لتخصصات الفكر العلمي أو الشعري. وبالتأكيد فأغلب التيارات الحداثية وما بعدها، استلهمت المرتكزات الباشلارية، لعل أهمها، ذلك الانتقال النوعي الذي أحدثه باشلار، المتمثل في التحول صوب النص ذاته والسعي إلى التماهي مع القراءة الحالمة اليقظة والمنتبهة، المدركة لأبعاد النص، وملاحقة شتى التجليات المصاحبة، لمختلف ارتدادات رنينها. يفتقد النص، لأي هوية ممتدة في الماضي أو مستقرة عند حاضر. بل، هويته التجاوز والاختلاف والتباين بحيوات متعددة، هكذا سقطت تلك الوظيفة التقليدية المستندة على شرعية توزيع الأدوار بين الكاتب والقارئ. صار النص ميثاقا مشتركا بينهما، قد يعيش ولادة قيصرية ضمن سياق كاتب معين، بيد أنه يغادر أبوته تلك، منذ لقائه بأول قارئ، كي يرحل في اللازمان واللامكان. طبعا باشلار، مهَّد لمختلف ذلك بشعرية، كتبت شعرا، على طريقة النثر، انطلاقا من كون باشلار، رفض لنفسه منذ

البداية التأسيس لمشروع نقدي بالمعنى المؤسساتي والأكاديمي للكلمة، فجاءت أطروحاته في شكل تداعيات حميمة وعاشقة، يحاور من خلاله هواجسه الذاتية بصوت مرتفع. بينما عند رموز التفكيك، فصلابة البناء واضحة لا غبار عليها.

**مرة أخرى يجدر بالذكر أن رحلتك الفكرية تبدأ من غاستون باشلار وتحاول أن تنتهي إليها، مع هذا ما رأيك بالعوالم الديريدية التي اخترقتَ حصنها في مقال لك ضمن كتاب جاك ديريدا فيلسوف الهوامش؟**

تقصدين هنا مساهمتي ضمن الكتاب الجماعي: «جاك ديريدا فيلسوف الهوامش تأملات في التفكيك والكتابة والسياسة» الصادر عن منشورات ضفاف والاختلاف. لقد قرأت بداية سنوات التسعينات، كتاب ديريدا «الكتابة والاختلاف»، ترجمة كاظم جهاد، المترجم المتخصص في متن ديريدا. رغم صعوبة الاستيعاب بل مجرد الإحاطة، فقد غيَّر ذاك اللقاء بنية ذهني، تبعا للأفكار التي التقطتها للمرة الأولى، مختلفة تماما عن طبيعة الدرس الفلسفي والأدبي كما عرفته، غاية ذلك الوقت، في المدرسة ثم مدرجات الجامعة. تصورات، مثل: ميتافيزيقا الحضور، التفكيك، الاختلاف، المغايرة، المركز، الهامش، التمركز العقلي، العلامة، الأثر.... أحدثت رجة نوعية، ضمن كومة معارف جاهزة، مسكونة بالاطمئنان والثبات واليقين، تهتدي بك فورا ضمن أفق الاعتباط أو الابتذال أو الاستهلاك الغبي، بين حدود الجمود والعقائدية المريضة.

إذن، في تلك الفترة من عمري، وكذا بداية تطلعي الفكري، كانت المسألة تربوية جدا بالنسبة إلي، من أجل تطوير عقلي وتحريض خيالي.

**أيضا ما رؤيتك لقلم نسوي ثائر كفاطمة المرنيسي؟**

تنبغي الإشارة هنا، كذلك إلى المقالة التي شاركت بها ضمن دفتي كتاب جماعي صدر في البحرين، تأبينا للراحلة الكبيرة فاطمة المرنيسي: شهرزاد المغربية. بالطبع، تعتبر المرنيسي من الرموز العتيدة والرائدة التي انتقلت بالفكر المغربي، إلى سياق الحداثة، وولجت به نحو الكونية. هكذا، خلدت اسمها بجدارة بجانب مؤسسي وملهمي أطروحات الفكر المغربي المعاصر، بحيث وضعت صحبة الجابري والعروي ومحمد سبيلا والمهدي المنجرة ومحمد بنيس وعبد اللطيف اللعبي ومحمد جسوس...، اللبنات النوعية والمرتكزات الصلبة لفكر مغربي عبر امتداداته العربية طبعا، من أجل استيعاب وتملك ثم ترسيخ بنيات الحداثة، في مواجهة، المنظومات التوتاليتارية المتخلفة، سواء اتخذت صبغة سياسية أو دينية أو أخلاقية. بالتالي، انخرطت عالمة الاجتماع، وإحدى المناضلات النسائيات الأكثر تأثيرا في العالم بحسب لائحة نشرتها مجلة الغارديان، ضمن مشروع مغرب التطلع إلى التحديث الجوهري، وبناء الإنسان داخليا، من زاوية النضال الثقافي الأكاديمي الصرف، باعتباره مقدمة لا غنى عنها، بخصوص مختلف النضالات، كي تجابه المرنيسي، أسئلة مجتمعية مؤرقة ومعقدة يتداخل فيها السياسي

بالمقدس بالتراثي بالمجتمعي بالأنثروبولوجي، أظهرها إلى السطح، عسر مخاض المغرب المستقل، مع اللحظة المفارقة، المتمثلة في المجابهة الضمنية بين حماة القديم مع المتطلعين بشغف إلى التحرر والتحديث، ثم محوري ذلك: الاستبداد أو التعدد والاختلاف. وما يترتب عنهما تخلفا أو تقدما. في الحقيقة يحتاج مشروع المرنيسي إلى أوراش بحثية عدة، وتوظيف ذلك واقعيا، ضمن المشاريع المجتمعية إذا توخينا تجنب الانقراض والاندثار. منذ رحيلها، وضعت ضمن زاوية من خزانتي مختلف عناوين كتبها في انتظار إنجاز دراسة توثق بشكل من الأشكال لذكراها الخالدة. غير أن أقصى ما فعلته غاية الآن يظل ضئيلا ومحتشما جدا بحيث لم تتجاوز الحصيلة: قراءة في كتابها: «هل أنتم محصنون ضد الحريم»؟ ثم ترجمة لمقالاتها: «الذكاء أم الجمال؟» «توظيف الفكر كسلاح شهواني»، «حريمي هارون، الرشيد الخليفة الفاتن»، «الخصر رقم 38حريم النساء الغربيات»، وكذا حوار مهم وعميق للغاية أجراه معها إدريس كسيكس وفاطمة أيت موس، تحت عنوان: «أحلام إسلام كوني».

**ككاتب ومترجم في آن واحدة فإنك أدرى بمهمة الترجمة وما تتكبده من مسؤولية، فهل يمكن من وجهة نظرك أن تتحرر الترجمة من القيود التي تحصرها فقط في التأويل من اللغة الأم للهدف، وتحاول أن تنشد استقلالا كالكتابة وطابعها الوحشي البريء؟**

لا أحد يمكنه الادعاء بأن الترجمة عملية سهلة، سوى من كان بعيدا عن المجال ومراقبا عن بعد، مختزلا الترجمة بتهكم واستخفاف إلى مجرد عملية لوجيستيكية صورية، لا غير، تقتضي فقط التسلح بقاموس سميك يحوي تقابلات لغوية بين الكلمات، ثم الشروع في تحويل تلك الكلمات آليا من لغة إلى أخرى، ولحم علاقاتها الخطية بروابط أسلوبية. بالعكس الترجمة، تظل فنا، أولا وأخيرا، بكل ما تطويه الكلمة من دلالة جمالية وإبداعية. إنها حوار يهيم، بكل الجوارح نحو دواخل النص المتوخى ترجمته. هكذا، وبغض النظر عن تقييمات أحسن أو أساء، فالأكثر إذهالا، سماعك لحكم أن الترجمة أجمل من النص الأصلي، أو على العكس، أعظم الانتقادات قسوة، حينما يلتقط المترجم إشارة تتمنى لو لم يقترب أصلا من النص، وتركه في شأنه.

**هل هناك تطلعات لبحوث جديدة من كتابة أو ترجمة تنبش في متون المعارف الفلسفية؟**

قبل شهر تقريبا صدرت لي عن دار خطوط وظلال الأردنية، دراسة عن غاستون باشلار تحت عنوان: «جمالية باشلار»، ثم ترجمة لرحلة جوزيف كيسيل إلى سوريا سنوات العشرينات، تحت عنوان «في سوريا». في انتظار ظهور أعمال أخرى خلال أمد قريب، سواء لدى نفس الدار، أو كذلك ضمن منشورات عالم الكتب الحديث.

**ختاما كيف ستكون رؤية الإنسان للعالم من منظورك بعد هذا الهاجس المقلق للبشرية جراء وباء كورونا؟**

كما عبرت عن تصوري في مقالات شخصية، أو من خلال ترجمات لمقالات معينة حول كورونا، فاللحظة تتجاوز كثيرا بعدها الطبي، أو مجرد الوقوف عند حدود تلك الانتصارات الصغيرة والوهمية، المتمثلة في مغادرتنا أخيرا بيوتنا، وقد تخلصنا من الحجر الصحي، والعودة إلى «طبيعية» العالم مثلما كان الشأن قبل شهر مارس 2020. لم يكن العالم طبيعيا، ولن يصير أيضا كذلك، إذا لم تتخلص البشرية أساسا من المنظومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة، المعروفة باسم الليبرالية المتوحشة، التي لا تنتعش ولا تقبل الحياة، سوى وسط بِركة آسنة ومتعفنة تغمرها شتى الفيروسات القاتلة.

# بعض إشكاليات الترجمة

حاوره: محمود أبو حامد

## تقديم

سعيد بوخليط، باحث ومترجم من المغرب. أصدر، المؤلفات التالية: غاستون باشلار: عقلانية حالمة. منشورات جريدة الآفاق المغربية، مراكش (2002). غاستون باشلار: نحو أفق للحلم. دار أبي رقراق للنشر الرباط (2005). غاستون باشلار: بين ذكاء العلم وجمالية القصيدة. منشورات فكر، الرّباط (2009). العقلانية النقدية عند كارل بوبر، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء (2009). غاستون باشلار :نحو نظرية في الأدب. دار الفارابي. لبنان (2011). المتخيل والعقلانية دراسات في فلسفة غاستون باشلار: منشورات ضفاف ومنشورات اختلاف (2013). غاستون باشلار مفاهيم النظرية الجمالية عالم الكتب الحديث الأردن (2012). نوابغ سير وحوارات. ترجمة وتقديم. عن منشورات جداول. بيروت. لبنان. (2012). قضايا وحوارات بين المنظور الأيديولوجي والمعرفي. منشورات جداول بيروت- لبنان (2014) بين الفلسفة والأدب: دراسات وسير- دار الحامد، الأردن. (2014). يوميات حالم مغربي: المنشورات الاليكترونية لموقع أي- كتب (2015). أعلام وقضايا وأحداث على غير المألوف: دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن (2016). تأملات في بعض

يوميات التردي العربي وتحديات التغيير: دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن (2016). أمي الحبيبة: من بودلير إلى سانت إيكزوبيري، رسائل أدباء. دار مها للنشر والتوزيع والترجمة، مصر (2017). آفاق إنسانية لا متناهية حوارات ومناظرات: عالم الكتب الحديث، الأردن (2018). مفاهيم رؤى مسارات وسير نصوص رائدة: عالم الكتب الحديث الأردن (2020). إيحاءات قرائية وحوارات نصية: عالم الكتب الحديث الأردن (2020). في سوريا: دار خطوط للنشر والتوزيع الأردن (2020). مختارات للحاضر والمستقبل: دار خطوط للنشر والتوزيع الأردن (2020). همسات نفسي، بخصوص بعض ما يجري: دار تأويل العراقية- السويدية (2020). رسائل ألبير كامو إلى ماريا كازارس: دار ماركيز للنشر والتوزيع العراق (2021). جوليا كريستيفا مسارات الفكر والحياة: دار خطوط وظلال الأردن (2021). أخبار جديدة من حقنا التطلع إليها.. مقالات في سجالات الفكر المعاصر: دار خطوط وظلال الأردن (2021). بربرية العالم المعاصر حوارات ومساجلات ومطارحات عالمية: دار خطوط وظلال الأردن (2021).

**ما بين الترجمة كصنعة وحرفة ومعرفة عميقة وشاملة باللغة والترجمة كإبداع. كيف يمكننا التفريق بين مترجم وآخر. ثم بين الترجمة للسرديات والشعر والترجمة للفلسفة السياسية وغيرها؟ وهل خيانة الأمانة تحدث في الشعر أكثر من باقي الأجناس؟**

نعم. وأضيف الترجمة شغف وعشق ودَأَب ثم تمرس وصناعة في نهاية المطاف. غير، أن مفهوم الصناعة يبتعد بالمعنى المتوخى عن المفاهيم التقليدية ذات النزوع العلمي الساذج، بل القصد تظل الترجمة رحلة معرفية طويلة، لا يتوقف ذهابها وإيابها المستمرين خلال الفصول وعلى امتداد اليوم، من خلال آفاق عدة ومتعددة يفتحها النص الواحد –لا سيما النصوص العتيدة والعنيدة– عبر الإحالات والهوامش والسياقات والأطروحات والمعاني والأعلام والمعجم، إلخ. تصور من هذا القبيل، لعملية الترجمة، والأخيرة بالمناسبة ليست بالعملية القيصرية؛ مثلما يعتقد غالبا، لكنها تعكس أساسا ولادة طبيعية منسابة أو بالأحرى فالترجمة جامعة حينها بين المتعة والمكابدة والخلاص، وفق تآلف سيمفوني خلاق، بحيث يعيش المترجم مختلف الحالات العقلية والوجدانية مع النص الواحد. أريد القول، أن أساس التفاضل النوعي بين مترجم وآخر، يكمن في مستويات معايشة النص المتوخى ترجمته ضمن ممكنات حياته. من هنا، ألح دائما على ضرورة تشكل شاعرية الشغف وشعرية الاستئناس قصد الانتهاء إلى نتائج موحية. أما وضع الترجمة تحت الإكراه، لأي سبب من الأسباب، فلا يؤدي غالبا سوى لنتائج

عكسية، حتى مع توفر عامل التمرس. العامل النفسي الحاسم في هذا الإطار، بحسب اعتقادي، يعود مقياسه إلى عدم إحساس القارئ بتباين للهوية واتساع للهوة بين الأصلي والنسخة. يفرض عليك النص الجديد/ المترجَم هوية واحدة، رغم السفر والانتقال من ضفة لأخرى، ثم أحيانا، ويالللمفارقة العجيبة! قد يكون نص الترجمة أفضل كتابة وتنضيدا للبنيات التركيبية والدلالية من النص الأصلي، مثلما يحدث العكس، بحيث تسيء الترجمة كثيرا للنص الأم فيغدو الفعل جريمة متكاملة الأركان. لذلك، يفضل بعض الكتَّاب ترجمة نصوصهم بأنفسهم تجنبا لأيِّ متاهة، أو ترشيحهم مترجما يثقون في عمله، أو يرفضون رفضا باتا إخراجها إلى الجمهور، قبل اطلاعهم عليها وإعادة صياغة ما يلزم صياغته.

أما بخصوص الشق الثاني من سؤالكم، فالاختلاف قائم بالمطلق على مستوى تصور الترجمة بمختلف مقومات عدَّتها المعرفية والمنهجية، حينما تجد نفسك أمام نص سردي أو شعري وكذا انتمائه لهذا الحقل أو ذاك. للخروج من هذا المأزق، وجب التأكيد على وجود ثوابت ومتغيرات تصاحب الترجمة باعتبارها قراءة، تأويلا، كتابة ثانية. تتمثل الأولى، في ضرورة حضور الشغف، مثلما قلت سابقا، لأنه السند الوحيد قبل وبعد كل شيء، ثم الاستئناس لفترة طويلة بطبيعة المجال المتوخى ولوجه قصد تمثل وفهم ما يجري.

**اقتبس الكاتب الفرنسي مورياك، عن المترجم موريس إدغار كويندرو التعريف التالي: «المترجم قرد الروائي». ويضيف الفيلسوف الفرنسي موريس بلانشو بخصوص المترجم: «إنه سيد الاختفاء بين اللغات» فماذا يقول الدكتور سعيد بوخليط كمترجم؟**

في رأيي، مستندا إلى تجربتي، يبدو المترجم ككاتب مستقبلي يعيش تحت الوصاية، أو مشروع مؤلف بصدد امتثاله لفترة تمرين غير محدد زمنها، قد تطول أو تقصر، وربما توقف سعيه منذ البداية، تبعا لأهداف قصده من العملية برمتها. كيف ذلك؟ حينما تختبر الترجمة لفترة طويلة، تشرع ضمنيا في البحث من جديد عن القدرات الذاتية لكتابة شخصية، وليست «استنساخا» لخطاب كاتب ثان. ما دام ورش الترجمة، على الأقل بحسب التصور القائم من الوهلة الأولى، يستدعي فقط توفر نص مكتمل، جاهز من ألفه إلى يائه، فوق الطاولة تلزمه مجرد إعادة نقل وتحول هوياتي وجهة اللغة التي تريد. إذن، المطلوب فقط، امتلاك معجمين لغويين وورقة وقلم، ثم انطلاق القراءة وتدبيج الصياغات الجديدة، دون الخوض هنا في مسألة المعنى، التي تتقاطع كما نعلم عند تصورين، هناك فريق من المترجمين يتمسك برؤية أصولية محضة إن صح التعبير، بحيث يشتغل على معجم الكلمات حرفيا مؤولا المعنى بحسب متوالية خطية، تبعا لحصيلة تلك الكلمات. بينما، يراهن فريق ثان، على مجرد استيعاب للمضمون ثم كتابته بحرية تركيبية. عموما،

الفكرة التي أرغب في طرحها، تلك المتصلة بمستويات الإبداع الحقيقية، انطلاقا من الرهان على التأليف أو الترجمة؟ لا سيما، بالنسبة لمن قطعوا مع التأليف وتفرغوا تماما لمهام الترجمة. هل المترجم مجرد كاتب فاشل؟ قياسا على تداعيات تلك المقولة التعليمية الشهيرة الناقد كاتب فاشل؟ طبعا لا أتفق تماما مع الوصفات الميكانيكية الجاهزة، لأن المسألة أعقد بكثير ومتداخلة جدا، مع ذلك، يشغلني هذا الهاجس: لماذا ألجأ إلى ترجمة نص معين، ولم أكتف فقط بقراءته، بحيث أضع اسمي تعسفا بجانب صاحبه الأصلي. هل أردت ضمنيا أن يكون لي قبل غيري؟

**تعقيبا على ما سلف، هناك من يرى بأن هدف الترجمة التعبير بالضبط عن دلالات ومعنى كل كلمة وعبارة في النص الأصلي. من يرى أن الهدف يكمن في إنتاج نص لا يقرأ كترجمة وإنما كنص جديد بنفس روح إصداره الأصلي. أين ذلك عند الدكتور بوخليط وبين تباينات اللغات وما تحمله من مفارقات؟ ما الصعوبات التي تلاقيها أثناء الترجمة؟**

أعود ثانية ودائما، لاستلهام ترياق الشغف وسحر الرغبة العاشقة، باعتبارهما مدخلين جوهريين لا غنى عنهما بتاتا، قصد تبلور مفعول القدرة الذهنية والنفسية على المصاحبة اليومية، بهدف تذليل مختلف الصعوبات التي تواجهك بها تضاريس وأرخبيل النص المأمول اقتحامه. الانطلاق من محفزات تشعرك بالارتياح، يمنحك قدرات على القراءة والإصغاء بصفاء روحي، يسمو حتما على باقي الدواعي المادية، تحديدا

الرهانات التجارية ذات الربح السريع، مما يساعد كثيرا على تقديم منتوج في نهاية المطاف يحترم بكيفية حضارية، كيان وذكاء وحواس مختلف الأطراف المتعاقدة: النص، الكاتب، المترجم القارئ.

بالتأكيد، تواجهني كباقي المترجمين صعوبات شتى، لأني شخصيا أنتمي إلى مدرسة العصاميين والتكوين الذاتي بحيث لم أدرس قط الترجمة داخل فصول مؤسسة معينة، ولم أتلق مثلا تكوينا نظريا ومنهجيا، إذا أردنا الامتثال للأعراف والقواعد الأكاديمية المتفق عليها، مثلما لم أحضر في يوم من الأيام لقاء للترجمة سواء هنا في المغرب أو خارجه، ولم أشارك في أيِّ مؤتمر للترجمة، ولا علاقة تجمعني من قريب أو بعيد بأيِّ جماعة أو هيئة أو مؤسسة أو دار نشر إلخ. جل ما راكمته غاية الآن، بخصوص مخططات تهم باقي مشاريعي المستقبلية، المطروحة يوميا على مكتب اشتغالي، قوامها رغبة ذاتية خالصة. بالتالي، أعتبر ترجماتي بجانب طبعا باقي أبحاثي وكتاباتي التأليفية، انعكاسا وتجليا مرآويا لتاريخ مسار حياتي.

**ما بين المهني والمؤسسي والفردي، تتراوح نوعية الكتب التي يختارها المترجم، وحرية هذا الاختيار فكيف كانت بداية علاقتك مع الترجمة وما أهم الكتب التي ترجمتها ولماذا؟ وكيف تتم المفاضلة بين مؤلف وآخر، أو بين عمل وثان؟**

إذن، استطرادا على ما سبق، مثلما توخيت دائما على مستوى حياتي الشخصية الإبقاء على جوهر حريتي نقيا، سليما، معافى، سينطبق الأمر بذات الثقل على الأسماء والأعمال التي أرغب في الانتقال بها إلى سياق لغتنا العربية. تعود شرارة البداية إلى مقالة صغيرة حول الصورة الشعرية للفيلسوف والعالِم غاستون باشلار، بحيث كان تصوره للأدب والشعر موضوع أطروحتي للدكتوراه، الرسالة التي ناقشتها بكلية الآداب/ جامعة القاضي عياض، بداية الألفية الثالثة. أرسلت المقالة دون توقع كبير إلى مجلة «فكر ونقد»، التي أشرف عليها غاية وفاته أستاذ الأجيال، المفكر محمد عابد الجابري. بعد شهرين بحسب ما أذكر، اكتشفتها ذات صباح منشورة ضمن مواد إحدى ملفات المجلة المخصصة لنظرية الأدب، تقارع مشاركات نقاد وكتاب مكرسة أسماؤهم بزخم آنذاك. ثم انطلق السعي جادا، فبدأت أترجم نصوصا ومقالات وحوارات ورسائل...، مما أسفر عمليا غاية الآن على عناوين هي:

أمي الحبيبة: من بودلير إلى سانت إيكزوبيري، رسائل أدباء. دار مها للنشر والتوزيع والترجمة، مصر (2017). آفاق إنسانية لا متناهية حوارات ومناظرات: عالم الكتب الحديث، الأردن (2018). مفاهيم رؤى مسارات وسير نصوص رائدة: عالم الكتب الحديث الأردن (2020). إيحاءات قرائية وحوارات نصية: عالم الكتب الحديث الأردن (2020). في سوريا: دار خطوط للنشر والتوزيع (الأردن) (2020). مختارات

للحاضر والمستقبل: دار خطوط للنشر والتوزيع (الأردن) (2020). رسائل ألبير كامو إلى ماريا كازارس: دار ماركيز للنشر والتوزيع العراق) (2021). جوليا كريستيفا مسارات الفكر والحياة: دار خطوط وظلال (الأردن) ( 2021). أخبار جديدة من حقنا التطلع إليها... مقالات في سجالات الفكر المعاصر: دار خطوط وظلال (الأردن) (2021). بربرية العالم المعاصر حوارات ومساجلات ومطارحات عالمية: دار خطوط وظلال (الأردن) (2021).

**يؤكد المترجمون أن نقل الكتب من لغة إلى أخرى هو تطوير للغة نفسها، وفي الوقت نفسه دراسة للغة أخرى. فكيف تتحقق هذه المعادلة في النقل عن لغة ثانية؟**

الترجمة ورش متكامل، يمد صاحبه بأدوات معرفية عدة منتقلا به صوب منظورات وآفاق واعدة، غير مسبوقة. أما إنسانيا وقيميا، فهناك خصال نوعية نتعلمها مع درس الترجمة. تتمثل في: الانفتاح، المكابدة، والتواضع. تلزم الإشارة، إلى أن مسألة التمكن بل التفوق اللغوي، تبقى متباينة لدى المترجمين. لكن، الأكثر أهمية بهذا الخصوص، يكمن في ضرورة استيعاب سياق موضوع الترجمة بكيفية دقيقة، قصد الإحاطة بمختلف الملابسات والحيثيات.

بالتأكيد، تتطور اللغة القومية وتصبح أكثر إصغاء لما يجري حولها، كما تنتقل من مستوى التمركز النرجسي على ذاتها، كي تنخرط بعنفوان في

سياقات التجربة الكونية من بابها الواسع، عبر مقتضيات الحوار والسجال والتناظر، مع لغات أخرى وثقافات إنسانية مختلفة. إذن، الترجمة أسّ بقاء اللغة على قيد الحياة، بحيث تغتني ذاتيا إبان لحظة إشعاعها الخارجي.

**يبدو أن ثمة إجماع عند كل المترجمين على أنه لدينا مثالا مهما عن مدى روعة ودقة أعمال ترجمت عبر لغة ثانية، وهي ترجمة المرحوم سامي الدروبي لأعمال دوستويفسكي من الفرنسية إلى العربية... فهل قمت بترجمة إلى العربية كثالثة، وهل ثمة صعوبات واختلافات؟**

يحتاج حديثنا عن سامي مصباح الدروبي إلى صفحات وصفحات، لأن منجز الرجل الذي قارب ثمانين عنوانا، جعل منه «مؤسسة كاملة» بحسب شهادة طه حسين. بفضل، اشتغاله الدؤوب بدون كلل؛ اكتشفنا روائع دوستويفسكي، بوشكين، ميخائيل ليرمنتوف. مجلدات، ناهزت على سبيل المثال، إحدى عشرة ألف صفحة بالنسبة لدوستويفسكي، ثم خمسة آلاف أخرى فيما يتعلق بأدب تولستوي.. فعلا، جاءت ترجمته عبر واسطة لغة ثالثة هي الفرنسية، لأنها اللغة الأجنبية التي أتقنها الدروبي، ولم يتحقق تواصله المباشر مع اللغة الأصلية. هكذا ف«خيانة» المترجِم، أراد أم انساق، تبلغ بالتأكيد مستوى ثانيا بوسعه إعطاء هامش أكبر للوقوع في الخطأ، قياسا لتلك الترجمة التي تعود إلى المورد والمنبع، هنا فقط يتضاءل سبب التضليل إلى درجة أقل، ولا أقول ينعدم. عديدة

هي الترجمات التي أخفقت رغم انتفاء حمولة وساطة لغة أخرى، واستلهامها المصدر، والعكس صحيح، وحتما يجسد الدروبي، في هذا الإطار نموذجا إيجابيا. ولأن الشيء بالشيء يذكر، أود الإشارة إلى مثال ساطع يعكس بدوره هذا الإشكال، يتمثل في قراءتنا للفلسفة الألمانية من خلال الترجمات الفرنسية، بحيث تعرفنا عربيا على نصوص هيغل وماركس ونيتشه وهيدغر... بفضل إشعاع دور النشر الفرنسية الشهيرة.

**تلعب المعرفة والثقافة والدراسات الأكاديمية دورا مهما في تطوير الترجمة وآلياتها ومرجعياتها ولكن هناك من يرى أن المعايشة اليومية للناطقين بلغة ما يقربك من روح اللغة وعاميتها ومعاجمها. ما رأيك في ذلك وهل يمكن تعميم ذلك على كل الترجمات؟**

امتلاك ناصية أيّ لغة يقتضي توفر الرافدين معا، من جهة التحصيل الأكاديمي، ثم من جهة أخرى الانخراط اليومي في صحبة تلك اللغة ماديا وبكيفية حية عبر عنصري التكلم والتواصل الشفوي. سياق من هذا القبيل، يجعل اللغة حاضرة باستمرار؛ منفتحة على التطور. أما علاقة ذلك بالترجمة، فهناك نصوص- السردية أساسا- تجد أغلب فقراتها ومقاطعها زاخرة بعبارات مرتبطة تركيبيا ودلاليا باللغة العامية وفحوى مضامين التداول اليومي، ولن تنفع في هذا الإطار شروحات المعاجم الأكاديمية، فيجد المترجم نفسه عاجزا عن وضع دلالات مقابلة. إذن،

إتقان لغة وفهم منظومتها، اقتضى دائما اشتغالا ثنائيا، النظري والعملي، التكلم والكتابة، القاعدة والتطور، المؤسسة والشارع.

**ماذا عن حركة الترجمة وتطوراتها في الوطن العربي بشكل عام والمغرب بشكل خاص. ماذا عن الترجمة من العربية إلى لغات أخرى؟ وعن الجوائز العالمية «نوبل» مثلا كطريقة لتسليط الضوء على كاتب ما، كيف يتم اختيار الأعمال العربية من طرف الغرب، وهل ثمة انتقائية تشوب هذه الاختيارات؟**

سواء في المغرب وغيره من البلدان العربية، لا زالت الترجمة تفتقد إلى الأفق المؤسساتي الكبير، الذي بوسعه تطوير وتثوير الإنسان والحجر. ما نعاينه حاليا يظل فقط مجرد هواجس فردية معزولة ونزوعات شخصية أساسها شغف صاحبها أو أساسا لأنها مصدر رزق بالنسبة للعديد من المترجمين في إطار عقود أبرموها مع بعض دور النشر، أو هيآت فكرية، إلخ. بل حتى هذا الجانب على بؤسه، مثلما تكشف حكايات من هنا وهناك، لا زالت تشوبه اختلالات كثيرة تقوض روح الطمأنينة المفترضة بين الناشر والمترجم، غير محكومة حقا بروح التعاقد القانوني والفكري وقبلهما الأخلاقي. لذلك، يقتضي ما يحدث ثورة ثقافية نوعية، تضع لا محالة الترجمة في قلب التفكير المؤسساتي للمشاريع المجتمعية. ننتقل معها من العمل البدائي إلى الاشتغال على ضوء حوافز مشروع حضاري حقيقي، قوامه ومبعثه التطلع صوب نهضة

تمس مختلف جوانب حياتنا السياسية والاقتصادية والمعرفية. فلا تطور يذكر، بدون أوراش الترجمة واشتغالات المترجمين على جميع الواجهات وانفتاح يلاحق اجتهادات مختلف الثقافات الإنسانية. نحن في حاجة ماسة إلى ترجمات ذات اتجاهين متقاطعين، من العربية وإليها، أفق يتطلب فعلا مخططا كبيرا بحسب روافده اللوجيستيكية والأبستمولوجية والإيديولوجية.

**تبرز إمكانات الترجمة كأداة لتحريك الراكد على مستوى النماذج المهيمنة في الدين والثقافة والسياسة وفي اللغة التي هي انعكاس لذلك كله. كيف يمكن لذلك أن يتحقق في حالة عدم التكافؤ الحاصلة بين اللغة العربية واللغات المترجم منها؟**

تحرك الترجمة المياه الراكدة، بوضعها موضوع مساءلة القائم محليا والمسيطر فكريا لعقود دون مساءلة تذكر، ليس بالضرورة أن تتم عملية التفكيك صراحة وجهرا، لكن فقط استيراد المفاهيم الدائم واللامتوقف عبر أوراش الترجمة، يؤدي ضمنيا إلى خلخلة المعتقد الديني والسياسي، والتحول بهما من مستوى العقيدة الجامدة أو الدوغما المتحجرة، كما الشأن معنا داخل أسوار هذه المجتمعات الشمولية والكليانية من الصباح غاية المساء، ثم من المساء حتى المساء ثانية، فتعود إلى حالتها الأولى باعتبارها مجرد وجهة نظر فردية قابلة للحياة والموت معا، بحسب قدراتها البيولوجية على التفاعل مع محيطها الداخلي والخارجي.

**المعجم منجز يفترض أنه يعكس نظرة اللغة وأهلها إلى العالم والعكس أيضا. كيف هو حال المعاجم العربية ولماذا لم تتطور؟ والى أي نوع من المعاجم نحتاج أكثر؟ بين قوسين «يرى البعض أن القرآن الذي حافظ على العربية حال دون تطورها أيضا. وثمة حاجة للمعاجم التاريخية والسياقية التي ترصد نشوء المفردات وتطورها».**

يعود عدم تطورها إلى أصولية المنظومة الشاملة المسيطرة والماسكة بزمام الأمور، بحيث انتهت بمجتمعاتها في نهاية المطاف إلى مصحة نفسية لشيزوفرنيا عُصابية حادة، وعصية على الشفاء نتيجة التباين الابستمولوجي الصارخ، الذي تكرس بكل وسائل القهر المادية والرمزية، بين واقع مادي منفتح بأريحية مطلقة لأهداف تجارية، على مختلف مبتكرات العقل التكنولوجي الكوني، ثم تداولها العبثي والأبله، داخل محيط تائه فكريا على جميع المستويات، لا زالت مرتبطة رؤية أفراده للعالم بأطر مرجعية تليدة، مما أرسى معالم واقع مضطرب أبدى عجزه غاية الآن، عن تشكيل سياق سليم من الناحية المعرفية يثري جدليا منظومة ثقافية ناضجة ذهنيا ونفسيا: التراث/ الحداثة، الفردي/ المجتمعي، الذات/ الآخر، الجسد/ الروح، الذكاء/ الإحساس، الحميمي/ العام، الوحدة / التعدد، القومي/ الكوني، وحدة المتعدد/ تعدد الوحدة.. باختصار، مجتمعا يستحق حياته ووجوده.

## سعيد بوخليط.. سيرة أدبية

- باحث ومترجم من المغرب .
- أصدر المؤلفات التالية:

– «غاستون باشلار: عقلانية حالمة»، منشورات جريدة الآفاق المغربية، مراكش، 2002.

– «غاستون باشلار: نحو أفق للحلم»، دار أبي رقراق للنشر الرباط، 2005.

– «غاستون باشلار: بين ذكاء العلم وجمالية القصيدة»، منشورات فكر، الرّباط، 2009.

– «العقلانية النقدية عند كارل بوبر»، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2009.

– «غاستون باشلار: نحو نظرية في الأدب»، دار الفارابي، لبنان، 2011.

– «المتخيل والعقلانية دراسات في فلسفة غاستون باشلار»، منشورات ضفاف ومنشورات اختلاف، 2013.

– «غاستون باشلار: مفاهيم النظرية الجمالية عالم الكتب الحديث»، الأردن، 2012.

- «نوابغ سير وحوارات»، ترجمة وتقديم، عن منشورات جداول، بيروت، لبنان، 2012.
- «قضايا وحوارات بين المنظور الأيديولوجي والمعرفي»، منشورات جداول، بيروت، لبنان، 2014.
- «بين الفلسفة والأدب»، دراسات وسير، دار الحامد، الأردن، 2014.
- «يوميات حالم مغربي»، المنشورات الإلكترونية لموقع أي – كتب، 2015.
- «أعلام وقضايا وأحداث على غير المألوف»، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2016.
- «تأملات في بعض يوميات التردي العربي وتحديات التغيير»، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2016.
- «أمي الحبيبة: من بودلير إلى سانت إيكزوبيري»، رسائل أدباء، دار مها للنشر والتوزيع والترجمة، مصر، 2017.
- «آفاق إنسانية لا متناهية حوارات ومناظرات»، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2018.
- «مفاهيم رؤى مسارات وسير نصوص رائدة»، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2020.

- «إيحاءات قرائية وحوارات نصية»، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2020.
- «في سوريا»، دار خطوط للنشر والتوزيع، الأردن، 2020.
- «مختارات للحاضر والمستقبل»، دار خطوط للنشر والتوزيع، الأردن، 2020.
- «همسات نفسي، بخصوص بعض ما يجري»، دار تأويل العراقية-السويدية، 2020.
- «رسائل ألبير كامو إلى ماريا كازارس»، دار ماركيز للنشر والتوزيع، العراق، 2021.
- «جوليا كريستيفا مسارات الفكر والحياة»، دار خطوط وظلال، الأردن، 2021.
- «أخبار جديدة من حقنا التطلع إليها.. مقالات في سجالات الفكر المعاصر»، دار خطوط وظلال، الأردن، 2021.
- «بربرية العالم المعاصر حوارات ومساجلات ومطارحات عالمية»، دار خطوط وظلال، الأردن، 2021.
- «غراميات ألبير كامو ورسائل حميمية أخرى»، أبجد للترجمة والنشر والتوزيع، العراق، 2022.


- العنوان الإلكتروني: boukhlet10@gmail.com
- الموقع الإلكتروني: http://saidboukhlet.com

# فهرس المحتويات


تقديم: غاستون باشلار: شاعر العلم وكيميائي القصيدة ..... 5

الترجمة، مؤسسات الترجمة العربية، روافد الترجمة/ حاوره: حياة حسنين..... 13

خطى غاستون باشلار، فينومينولوجيا باشلار/ حاوره: حسين محمد شريف ..... 27

مفهوم الخيال الباشلاري، نظرية العناصر الأربعة/ حاوره: أشرف الحساني ..... 37

لماذا هذا المشـروع الباشلاري؟ بعض المرتكزات الإبيتيقية لفكر باشلار/ حاوره: باسمة الحامد ..... 46

غاستون باشلار، الفلسفة والأدب، الجابري والقطيعة، سارتر وكامو، الهوية/ حاوره: خالد بيومي .. 56

غاستون باشلار، الدرس النقدي، الترجمة، الفلسفة/ حاوره: إسراء أبو عيشة ..... 67

طبيعة الموضوعات المختارة، الأسلوب، القراء المشاريع القادمة/ حاوره: مهند الحميدي..... 77

القراءة، الكتابة، الترجمة، المرجعية، المناهج الغربية، درس باشلار/ حاوره: محمد الصادق ..... 83

الديستوبيا واليوتوبيا.. أحوال عالمنا الموبوء/ حاوره: بول مخلوف ..... 97

الكتابة، جمالية باشلار، الترجمة، المثقف/ حاوره: أحمد العكيدي..... 114

تأملات عابرة حول غاستون باشلار/ حاوره: حليمة هبري..... 122

بعض إشكاليات الترجمة/ حاوره: محمود أبو حامد ..... 131

سعيد بوخليط.. سيرة أدبية ..... 145